المهدي نقوس

...إلخ

مجموعة قصصية

منشورات رابطة أقلام احمر

الطبعة الأولى

عنوان الكتاب: ... إلخ
مؤلف الكتاب: المهدي نقوس
لوحة الغلاف: الفنان عبد الكبير البيدوري
الطبعة الأولى: 2014
رقم الإيداع القانوني:2014 MO 3041
ردمك: 978-9954-34-217-6
المطبعة: SAFI GRAPHE

إهداء

- إلى كل رفاق الكلمة الرائعين بمنتدى مطر، الذين شملوني بفيض كرمهم ومحبتهم
- إلى أصدقائي الطيبين جميعا
- إلى الإخوة في (رابطة أقلام احمر) الذين واكبوا هذا الأثر الأدبي بالدعم والتشجيع
- إلى الفنان المقتدر الأستاذ عبد الكبير البيدوري الذي وشح المجموعة بأزهى لوحاته التشكيلية
- إلى أجمل الأمهات اجميعة بنت الحسن
- الى البروليتاري الذي هد المنجم والليل شبابه والدي المحجوب بن زيدان
- إلى آل نقوس في كل مكان وزمان
- اهدي هذه الإضمامة القصصية الجديدة

شكر خاص

نتوجه بالشكر الخالص والجزيل إلى رفاق الكلمة الأفاضل في (رابطة أقلام احمر) الذين اجتمعوا على سكة الصفاء والتفاهم والتآزر والتآخي والمحبة والرضا، واتفقوا على إصدار هذه السلسلة الإبداعية الدورية، التي تعتبر تعاملا جديدا مع النشر باعتباره موقفا حضاريا، وضرورة وجود، القصد من ورائه ترسيخ قناعات فكرية أكثر عمقا من أجل خلق مشهد ثقافي متطور، وإثراء الساحة الأدبية والفكرية بالمنطقة، دون الترويج لجمعية أو جماعة أو مجموعة أو حركة أو مؤسسة أو لمدرسة أدبية ولا لتيار ثقافي وسياسي وإيديولوجي معين. رافعين شعار القراءة للجميع وحدها عامود التقدم والتنوير والانفتاح والتسامح والتحرر الفكري، راجين لهذه المبادرة التي تعد الفريدة من نوعها كل التقدم والدوام والاستمرارية والتوفيق

- **المهدي نقوس**
- **عبد اللطيف بحيري**
- **أحماد بوتالوحت**
- **توفيق الأبيض**
- **حسن الأبيض**
- **محمد مومني**

قبل البدء

هذه الأوراق وجدت بالصدفة أثناء البحث عن أسرار قديمة خلال ليلة مؤرقة، وتؤرخ لوقائع خيانة الراوي والبطل اللذين لا يعرفان بعضهما، أو لم يتمكنا من الإلتقاء لكثرة المشاغل، ويذهب البطل إلى اتهام الراوي بانتهاك شرط الكتابة، وتشتيت أفكاره، وإقحامه في ضيق لا يرضى عنه، موقعا إياه في حيرة عظمى، جاعلا منه ذكرى وخيالا وضحية، مقيما له في كل مشكلة حلبة صراع، مخترعا له في كل قصة قضية، وفي كل قضية مأزقا، وفي كل مأزق حالة انتقامية، حيثما يصيب الدهر يسيل دمه، بينما أمله في الحياة أن يحيا بكبرياء، وهو أكثر وئاما مع القارئ، إذا صفع على خده الأيسر لا يدير الخد الأيمن، وقد حاذر الكاتب أن لا يورط روحه في صراع عائلي لا يعنيه، مانحا إياهم فرصا بديلة للتعايش، محاولا تنقيح الحياة من أعطابها، مقايضا الخسارات بالأماني، مؤاخيا بين السكينة والصخب بنية اشد نقاء من طراوة العشب وسحر النهاوند، وأكثر إشراقا من بهاء الشمس رأد الضحى، متوخيا من الألفاظ ما يعينه على المضي خفيفا لسهوب الحنطة، متشبثا بأوتار الحروف، خارجا من ضجر العبارة بأقل العثرات، غانما من رجع الصدى حوار الأشرعة عن أسرار المحار في أعماق البحر، وانتشار الشذا في السماوات، ليجني السرد ما يخسر الشعر، ويربح الشعر ما يعشق ويهفو إليه القلب

ذلك أن التاريخ لا يعيد نفسه
لكننا مرغمون على اجتراره
والثورات تأكل أبناءها
بينما نبني آمالنا على أنقاضها
كذلك هو فضل البطل على الراوي
بعضهما لبعض صديق
ولكل شيء أوان
ولكل أجل كتاب
إلى آخره
إلخ
إلخ...الخ
إلخ.....الخ
إلخ.....الخ
إلخ.....إلخ
إلخ.....إلخ
إلخ.....الخ
إلخ.....الخ
إلخ.....إلخ
إلخ.....إلخ
إلخ.....الخ
إلخ.....الخ
إلخ.....الخ
إلخ.....الخ
إلخ.....الخ
إلخ...إلخ
إلخ

"اسمع يا فيلسوفي الصغير.. الإنسان يعيش ستين سنة في الغالب، أليس كذلك؟ يقضي نصفها في النوم.. بقي ثلاثون سنة.. اطرح عشر سنوات ما بين مرض وسفر وأكل وفراغ.. بقي عشرون.. إن نصف هذه العشرين قد مضت مع طفولة حمقاء... ومدارس ابتدائية.. لقد بقيت عشر سنوات... عشر سنوات فقط، أليست جديرة بأن يعيشها الإنسان بطمأنينة؟"

- **غسان كنفاني - أرض البرتقال الحزين**

العقيد

"قطع رأس التمثال
لم يكن أكثر من كتلة
من البرونز أو الفولاذ
أما في رأس البشر
فلا شيء تغير
مات الطاغية
عاش الطاغية!"

عبد اللطيف اللعبي
- من ديوان اكتبْ الحياة ترجمة روز مخلوف

دخل العقيد إلى غرفة الحمام وهو في منتهى إنهاكه البدني، بعد جولة ميدانية أمطر خلالها أعداءه بوابل من السباب والشتائم، كانت الغرفة واحدة من إثني عشر حماما، لا يزيد طولها وعرضها ولا ينقص عن عشرة أمتار، علقت على بابها حدوة حصان جلبا لليمن ودرءا للعين، تمدد في الحوض المرمري الفسيح، فتح الصنبور فسال منه خيط رفيع، أحس باللزوجة فوق جسده، واستسلم لسخونة السائل، الحقيقة أن دفء الحوض ورفاهية الغرفة منحا العقيد شعورا بالراحة واللذة والاسترخاء والأمان والطمأنينة، فساورته الهواجس وشرع في رسم مخططات جهنمية عن كيفية التخلص من شعب فطن لأسرار اللعبة، وما عادت تنطلي على أفراده الحيل والدسائس، ولا تجدي معهم فنون الخداع والتجويع والقهر، وبدأ التذمر والرفض والتمرد يتسرب إلى دواخلهم ويتمكن من نفوسهم، فلم يعودوا يطاوعونه كما كانوا، حتى أنه فكر في لحظة طيش بأن يبيدهم بأكملهم، وراهن على سبعة أيام وثمانية ليال بإشراقاتها وغروبها، بحرها وبرودتها، بلياليها ونهاراتها، بجوعها وعطشها، لاستبدالهم بمواطنين آخرين مغايرين لهم تماما في البشرة واللغة والدين، يستوردهم من أقاصي أدغال إفريقيا، أناس أكثر لطفا ووداعة وطاعة، وأكثر جلدا على الإهانة والأذى والقهر والحرمان، وأكثر تعقلا وتحملا للجوع والتعب والمصائب، وأكثر صبرا على

الاضطهاد والإذلال، شعب جديد أقل غضبا وإلحاحا، طيع مسالم وديع كالدجاج، وقادر على استساغة نظرياته الشيطانية من دون رد فعل ولا رد كلام.

راقته الفكرة فبدأ يدندن بمقطع من أغنية ريفية أفلحت الجدران الأربعة وكثافة البخار بتفخيم نبراتها وترديد صداها، وأسلمته لأحضان غفوة لم يوقظه منها سوى حلم رهيب رأى فيه نفسه يمشي في صحراء واسعة قاحلة مترامية الأطراف، تتململ كثبانها في نحو تجاذبي تود ابتلاعه، وثعابين صفراء وزواحف تلتف حول رقبته، وتحاول الدخول من شق ثغره، شعر بالاختناق، كان الدم يبقبق على مستوى أنفه، ويسيل من حافة الحوض على أرضية الحمام، وفمه المتهدل النصف مفتوح ممتلئ بقطع من الدم المتخثر، وفلول الضياء تتقهقر تتولى وتندحر أمام غبش الغروب الوشيك..

أحس باختلاج في جفن عينه اليسرى، وأدرك أنه لم يكن في حلم، بل في يقين لحظة حاسمة لا يطيق تحملها، فحاول يائسا طرد أطيافها بكل التحفظ بأحلام أخرى مخملية ووردية، وخلق أحداث جديدة أكثر إشراقا وزهوا، تكون أجدى ملاءمة لحالته النفسية المخزية، لكنه ظل عاجزا عن لملمة شتات أفكاره، وحاول التخلي عن إصراره العنيد دون جدوى، هو الذي لم تجرؤ قط ذبابة على أن تحط فوق أرنبة أنفه، دون أن تسلم من نيل جزاءها..

كانت رؤى المفاوز والثعابين والخفافيش والعظايا والسعال والسحالي والضفادع والزواحف وأطياف الحيوانات الأسطورية الكاسرة هي الأشياء الأكثر مراودة لأحلام لياليه الطويلة والموحشة على الدوام، أضغاث أحلام مزعجة، لم تفلح أقراص الفاليوم ولا جرعات المورفين ولا كميات الحرمل في طردها، مضاعفات ذكريات كالحة حزينة آبقة من سنين الجرب والجدب والحرمان حين كان يفترش خشونة الحلفاء في أعماق الصحاري القاحلة الموجعة، هناك حيث رأى النور لأول مرة من صلب أم عجوز عجفاء دردبيس فانية محدودبة الظهر على مشارف سن اليأس، وترائب أب سقيم نحيف كتوم قليل الكلام كان يشتغل راعي إبل لدى إحدى أفخاذ قبيلة زناتة البربرية. فأمر بإحضار كافة مفسري الأحلام والعرافين والمنجمين والدهاقين وكتاب التعاويذ والحواة ومروضي الثعابين والأفاعي على وجه السرعة كي يفتونه في أمره، بما تسعفهم به كتب " تفسير الأحلام " لأبي بكر محمد ابن سيرين، و" بدائع الزهور في وقائع الدهور" لمحمد ابن إياس، و"الرحمة في الطب والحكمة" للإمام جلال الدين السيوطي، وقرعة الأنبياء للنبي دانيال، وبما يستطيعون إسعافه به من أشربة وعقاقير

يحشون بها جوفه، وتمائم وطلاسم ورقيات تحلل في الماء ويدهن بها جلده علها تهدئ من روعه وتجبر خاطره.

في الخيمة، ولأنه كان دائم الظهور بمنظر المتقشف في عيشه، تحامل على عجزه وغضبه وتوتره وشروده، وتظاهر بالجد والحزم كي يبدو متماسكا أمام ناظريه، استعرض تشكيلة من الكواعب الطريات اللحم كالزبد، وصيفات، وحاجبات، وحارسات، ومدربات، ونديمات، وممرضات، وراقصات، ومقلمات أظافر، ومدلكات، وكاتبات خطب ورسائل، وقارئات كف، وحكواتيات، ومدونات مذكراته وسيرته الذاتية، ومحظيات حسناوات من كل لغة لم يطمثهن إنس، جئن كلهن لعرض خدمات وخطب وكراريس وجذاذات أفنين أبصارهن في نسخ ومحو تفاصيلها المملة، لم يكن يعنيه في الدنيا سوى التفاخر وجمع المال والثروة والجنس، واختيار ما يعينه على إعلاء صوته، وتحسين صورته في عيون الرعية، والانتشاء بما تسبغه عليه المدائح من أوهام فاسدة كافية لشد أزر مجده الآفل والآيل للسقوط .. هو الذي لم يكن قد رأى في صباه سوى بعر الأباعـر، ولا سهر الليالي تحت نافذة حبيبة مستحيلة، فكانت حياته خالية من كل ملذات الدنيا، وكل الأشياء مثل باقي الأشياء..

كان في عامه الواحد والأربعين من حلمه المطلق، وفي السنة السبعين من عمره حيث سترغمته ساعة نحسه وظروف هزيمته وغضب الشعب على التنقل متنكرا بين العشائر والقبائل والمداشر ممتطيا ناقته العشارية، معتمرا قلنسوة من تروس السلاحف، ومتلحفا بـ " جرد " بني أشد مقاومة للأوساخ وحر العراء، مشغول بوبر عشرين جملا. مجرورا بحلمه المرعب، ومتبوعا بتجريدة من نساء المايا الخلاسيات، لا أسماء محددة لهن، يكتفي فقط بمناداتهن بعيشة، وعويشة، وعيوشة تيمنا بابنته الوحيدة التي أردتها رصاصة طائشة حين كان يقنص الوحيش في أعماق الصحراء.

أمر كاتبة خطبه بأن تعد له خطبة وطنية لا تتجاوز مدتها أربعين ثانية، أربعون ثانية بالتمام والكمال كافية لكبح جماح شعب جائع مقهور وغاضب، أربعون ثانية بلا زيادة ولا نقصان يعيد قراءتها - كما وضعتها في أذنه - في الشارع العام تحت شمس شهر النوار القاسية، لم يكن أكثر جرأة ليقترب من غضب المتظاهرين الذين رابطوا حول خيمته، وتجرأوا على مخالفته، كان يؤلب عليهم فقط ابنه الكبير من زوجته الصغرى، يتوعدهم دوما بإلحاق أقسى العقوبات الزجرية بهم، ولا يتورع على تهديدهم بدفنهم أحياء، أو بقطع آذانهم وحلق

رؤوسهم في الوقت المناسب بشظايا الزجاج، لتطهير البلاد من الجرذان والخونة...

كان العقيد أشد ما يهاب دوما الموت بالسم أو بطعنة خنجر من قريب، ويشعر بأن الكل يتجسسون عليه، ويحاولون استغفاله، ولم تزده السنون الطوال التي أمضاها مهووسا بجمع المال وعشق النساء سوى شكوك في أقرب المقربين إليه، ومزيدا من العناد والصلابة والغرور أكثر مما منحته تلك التجربة من الفطنة واللباقة وطول الصبر ورباطة الجأش. لهذا ظل يتوقع على الدوام خطرا محدقا من غزاة وهميين قادمين من بعيد، وعلى وشك الاقتراب من مضارب عشيرته، ويخيل إليه أن ظلال فلولهم تتماوج على كثبان الرمال المتحركة، وتتناهى إلى مسامعه وثبات خفوفهم، وصليل سيوفهم، وصدى صنوجهم كالهمس، أيقن أن قتاله لا فائدة من ورائه، وأن مقاتليه الذين كانوا يكافحون بتفان لفك عزلته سيتخلون عنه لا محالة، وأن حتفه أصبح وشيكا، وجثته ستدوسها سنابك الخيل، وتلغ فيها الضباع والعقبان والكلاب، وليس هناك من حصان طروادة كي يختبئ في جوفه.

في الهزيع الأول من الليل، شوهد خيال رجل يتسلل من تحت الستار الخلفي للخيمة، مهرولا عاضا على طرف برنسه بأسنانه المدببة، وقد خيل لمن رآه أنه كان في حالة ارتباك قصوى، كمن أدركته الحاجة، هدم جميع تحصيناته، وساق بهائمه، وهام على وجهه متوغلا في أعماق بيداء واسعة سحيقة لا قرار لها، تصده قبيلة، وتطرده أخرى، وتطارده قبائل، وتعوي في وجهه ذئاب البراري الجائعة، وتنبح في أعقابه كلاب ضالة، كان على دلتا النهر العظيم حين أطبقوا الطوق عليه، حين أحس بأن كل المنافذ والسبل قد سدت في وجهه، وأنه ساقط لا محالة، سحب المسدس أمام دهشة واستغراب الجميع، وقبل أن يدوس على الزناد، سمع دوي في الجهات القصية للكون لإطلاقة طائشة سكنت تجويف صدغه الأيمن..

من هموم امرئ القيس الدائرية

"الشعراء ليسوا نقيين بما فيهِ الكفاية في نظري
جميعهم يكدّرون مياههم كي تبدو عميقة !
قد تعلمّوا من البحر غروره أيضاً ،
أليس البحر بطاووس الطواويس ؟ "

نيتشه - هكذا تكلّم زرادشت - ص 254

1ـ كيف انحدر امرؤ القيس من عاشق إلى مطارد..

حين زارني امرؤ القيس كان الوقت مساء... الشمس بدأت تلملم أشعتها لتمارس هجرتها اليومية، فبدت شعلة نارية أدركتها النهاية، شرعت تخمد.. تخبو.. تضمحل.. ترحل.. تتلاشى.. تسافر.. كلنا مسافرون بهذه الدنيا.. راحلون.. نواجه المسافات.. الزمن والوطن.. نسافر في المسافات والزمن والوطن.. أبدا مسافرون يا نفسي.. وأنت يا امرأ القيس تستكين بأحضان الرقاد تسافر بمفردك بفجوة الإنهيار، يمحوك الزمن وينبذك الوطن.. الزمن توقعه نبضات القلب وجلجلة ضحكات عنيزة والرباب.. والوطن تمحوه اللذة موج البحر الليل والرحيل..
حين زارني امرؤ القيس ذاك المساء البعيد، كانت الإذاعة تبث أخبار الانقلاب العسكري الذي أطاح بعرش والده الملك حجر الكندي، المذيع يقرأ البلاغات، الموسيقى العسكرية الصاخبة تصدح، إذاعات أخرى متفرقة تبث أغان عاطفية، وأخبارا متنوعة عن ارتفاع أثمان استهلاكية، واختفاء مواد غذائية أساسية من الأسواق، وارتفاع أسعار النفط والفضة والذهب، وانهيار قيمة الدولار والأسهم والسندات، وعن إضرابات ومظاهرات طلابية.. وثورات الفلاحين.. وأسلحة الدمار الشامل، واضطرابات واختلافات عقائدية ودينية في آسيا وأوربا.. وانقلابات عشوائية في أدغال إفريقيا، وتغيير بعض الدول لرؤسائها بسهولة وبدون بروتوكولات تماما كما يغير الثعبان جلده...
المذيع يقرأ، ويردد، ويتفنن في القراءة، ومع كل قراءة يضغط على مخارج الحروف، وبين كل قراءة وقراءة تنبعث الموسيقى العسكرية، وأنت يا امرأ القيس بن حجر الكندي تغط في نومك، لا أحد يعكر صمت المكان سوى شخيرك المرتفع الذي يجفل الإبل في مرابدها، وبندول ساعة الحائط الثابت الذي يشير إلى الزمن ولا يعده..

2 ـ كيف أصبح امرؤ القيس شاعرا ضليلا..

حين علم امرؤ القيس الخبر، قال ببرودة أعصاب بالغة: اليوم خمر وغدا أمر، والحكاية أنني قلت له: قم أيها الشاعر لقد هدك الزمن، وغدر بك القدر، سيفك الظمآن يود الخروج من غمده ومخبئه، جرده من الحرمان والكبت الدموي، أدخله ذاكرة المجد، اترك قلبك الحجري يتخثر بين سعف النخيل، يعلن التمرد على أصنام العشق وهوى الخليلات، فرك عينيه المحمرتين من السهر، وقال ببرودة مستعينا بهزة من كتفيه: اليوم خمروغدا أمر، فأضحى بطريقة آلية شاعرا ضليلا..
المذيع يتابع القراءة، المارشات العسكرية تتواصل بصخب، الموسيقى دفق حماس، والتغيير حماس، والحماس نار متأججة تغلي على إثرها الدماء الجارية بشبكة العروق، وامرؤ القيس حين قال اليوم خمر وغدا أمر، خرج من ذاكرة الوطن عبر صنبور النسيان، حوصر، تهاوى، تلولب، وحضرموت دخلت ناصية الجراح..

3ـ كيف أصبح امرؤ القيس شاعرا ذا قروح..

أحضرت لامرئ القيس عدته، زوادة بها خبز وماء وتين مجفف وبصل.. أتعرفون فوائد البصل.. لعله بطريقته السحرية في إدماع العيون، يبيد ما تراكم على القلب من هم وغم، يريح الأفئدة، يشحنها ويشفيها، كنت ساعتها قد استلمت راتبي الأسبوعي الهزيل، دفعت أكثره سدادا لديون الكراء والبقال والكهرباء والماء، كنت استيقظ كل صباح، أغادر البيت لأعود إليه عند المساء، لا أحد يعرف مهنتي لأني لا أعرفها بدوري، فهي غالبا لا تستقر على حال، سوى أني أعرف ويعرف الجميع أنني أشقى من أجل صاحب الكراء والبقال والماء والكهرباء وشركة التبغ، لكن الحل ليس بيدي، وأعرف حق المعرفة أن أكثر الذين يدخنون الكيف أو يحتسون النبيذ الرديء أو أشياء أخرى لا يفعلون ذلك من أجل المتعة أو من أجل رغبة أو محبة فيها، لكن من أجل النسيان وتفتيت غيظهم وغضبهم، إنهم يشفطون الدخان بأسى عميق.. ينفثون الأدخنة ورغم ذلك ينتشون، يدخنون لكن يبتسمون لإخفاء إحباطهم، يبتسمون رغم أن الطوق يضيق حول رقابهم، يضيق ويضيق بحدة حتى تخرج الحدقات من محاجرها، وفي نفس الوقت يبصقون على مؤخرة هذه الدنيا القحبة العجفاء المتجعدة التي يواقعها اللقطاء الذين تنكروا لآبائهم وأهلهم، وتناسوا أيامهم الكالحة، جوعهم وعريهم،

كلسوناتهم المثقوبة من كثرة الضراط، وجزماتهم الكريهة التي ضاقت على ارجلهم، فطفقوا ينتقمون لبؤسهم وشقائهم من البؤساء والمعدمين والأشقياء..
ولأني أعرف جد المعرفة كل هذا وذاك فأنا موجود..
ولأني أضمحل وأفنى بين الطريق والكاري والبقال واللقمة وشفطة السيجارة، فأنا موجود..
أنا لا أتنفس إذن أنا موجود..
أنا لا أرزق ولا أربح، وأحترق وأدفع كل محصولي الشهري لدى استلامه إذن أنا لست موجودا..
أنا لست موجودا، لأني أموت في هذه الدنيا بالتقسيط، مع أنني أرغب في قرارة نفسي أن تكون لدي ثروة أرسطو أوناسيس..
دفعت لامرئ القيس بعضا مما تبقى لدي من مال، ودعني وانصرف بعد أن ذرف دموعا غزيرة كالنساء لتذكره ملكا ضاع والكأس والمدام ودغدغة المعك والدعك ورجع مع نفسه..
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
خمنت بأن سقط اللوى وحومل من أكبر الحواضر العربية، يعمها الخير والأمان والسلام بعكس مدائننا المحنطة بالظلم والفاقة والجوع والحرمان والفساد.. طأطأ رأسه، وتابع طريقه ناقلا خطواته اليائسة بين البقع المفعمة بالقاذورات.. والتي نام عنها المسئولون، ونفسه تفيض بشتى الأمنيات التي لم يستطع تحقيقها بينما يدرك صراحة في قرارة نفسه أنه يصعد نحو الهاوية..
كان الأطفال يلعبون بالكرة في الحارة....
كان الأطفال يلعبون في الحارة بالكرة.....
بالكرة كان الأطفال يلعبون في الحارة.....
في الحارة بالكرة كان الأطفال يلعبون.....
الأطفال بالكرة كانوا يلعبون في الحارة...
في الحارة كان الأطفال يلعبون في بالكرة...
بالكرة في الحارة كان الأطفال يلعبون.....

4 ـ استنطاق

ـ لماذا تسافر يا امرأ القيس وأنت صاحب معلقة؟
ـ لأنشر معلقتي على أسوار روما، أغازل نساءها وأتعلم لغة عشق جديدة..
ـ ولماذا كتبت معلقتك إذن..؟

ـ لأفوز بالجائزة الأولى لأحسن قصيدة طللية..

5ـ ذكر ما غبر من أخبار امرئ القيس بن حجر..

قالت العرافة بعد أن نثرت الأقداح حولها:
عشت كل حياتك يا ولدي في لهو متواصل، بدرت أموالك، كرست شعرك لوصف الخيل والليل والنساء، ستسافر يا ولدي ستصادف متاعب وأهوالا، ستعبر جبالا ووديانا، ستلاقي وحوشا كاسرة وثعالب وذئابا بشرية، وأعداء يوزعون الضحكات الصفراء.. ويزرعون الطرق بالمكائد والدسائس والقتاد، الخيول تكبو، الرياح تعصف.. والأصدقاء يكيدون لك كيدا، والشمس تغرق في بحور الغمام، وأرض تضحك، وأرض تعبس، وأرض تضمك، وأرض تلفظك، وأرض تبلعك، وأرض ترفعك، وأرض تبسطك، وأرض تطويك، ويجيء جوع، ويجيء عطش، ويجيء نصب، ويجيء ضياع، ويجيء تعب، ويجيء ظنك، ويجيء احتيال، ويجيء حرمان، ويجيء حنين، ويجيء ضياع، ويجيء حزن، ويجيء قهر، وتدمى قدماك، وتتدمل رجلاك، والخيبة تتبسم من بين سجوف الظلام، والسراب يتراقص فوق الرمال، يفزك، يغيظك... ويراقصك، سوف وسوف وسوف... وتعرف بعدها بأن الحياة صارمة جدا جدا يا ولدي...
وقال الراوي:
إن امرأ القيس لما ود صاحبه أن يرجع على أعقابه قال له:
ـ ويحك يا عمرو بن قميئة أأنت صبي؟
أجهش عمرو بالبكاء، وزعق كالصبي وأجاب:
ـ إن الطريق إلى روما طويل، والمشي أدمى قدماي
فقال امرؤ القيس:
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لا حقــان بقيصـرا
فقلت له لا تبـــك عينــك إنمـا
نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
وواصل بمفرده رحلته القاسية إلى روما..

6 ـ العبر من ذكر أخبار السفر..

ـ الرسالة الأولى..

ـ رفع الحجاب عن أخبار الرباب..

صديقي... الشاحنة تطوي بنا الطريق، تلتهم المسافات، الأشجار النباتات والإسفلت، وأنا أدخل طقوس تجربتي، أمارس رحلة الكشف عن ذاتي، أحمل شارة الهجرة، أعلن الانتساب لمن لا أرض لهم، بين المطرقة والسندان أنا كما بين الإرهاب والديناميت العالم، كما بين النكسة والرجعية العالم العربي...
صديقي، الزمن يتلاشى، الزمن يذوي كشمعة بليل شتوي مرير، الزمن حوت كبير، وأنا حوت صغير، والحياة بحر، والبحر كرم وفيض، وأنا دوني البحر، والبحر دونه روما..
أنا الآن أعبر مواطن التيه، محاصر بدفق الصديد، أنا امرؤ القيس محاصر بآفاق كالحة. محاصر بكل قتامة الألوان، وجهامة السنين، لأني أحمل بذاتي كل المتناقضات وكل الخذلان وكل الهزائم وكل الخيبات وكل الألم...

- **الرسالة الثانية..**

- **العوض عن البلد..**

صديقي، وصلت إلى روما، الضباب غمامة داكنة، وروما مدببة بعمائم السحاب، السماء تسكب ذرات النرجس المائية اللزجة، وأنا أطأ روما مرورا بالجمارك وصناديق الليمون والعنب والطماطم، أخلف ورائي عالما يحبل بالسحر وبالمفاجآت وفرص المتعة والخيال ..
ـ لأني أعلن انتمائي للعالم المتخلف..
ـ ولأني أصلح لكل الأعمال الشاقة والحقيرة..
ـ ولأني بصراحة لا أجيد غير لغة المغازلة..
السماء يا صديقي فوق روما تتبول، تراود الأرض عن نفسها لتبرعم عناقيد تنزف نبيذا يهاجر للقناني، والأرض من تحت سماء روما تشهق من شدة الرغبة، تفتح ساقيها وذراعيها وتتأهب للمس واللمس، والشوارع المرشوشة بنور بنفسجي تناديني بوقاحة شارع الفداء شارع الحرية شارع السلام، وأنا المهاجر العربي أعيش في استسلام، اشتم رائحة الخيانة والدعارة والاستسلام، وأعلن آني طيب الشرق بالغرب، ورائحة الجنوب بالشمال، عبير الانهيار والخزي وبيع الأوطان بالمجان، السباكيتي، كوكاكولا، بيبسي كولا، مارلبورو، ونستون، كنت، سالم، الماكدونالدز، بيع الأوطان في المزاد العلني، الإغتيالات، الإستغلال، عرب الأمريكان وعرب إيران، العرب العاربة والعرب المستعربة، العرب العارية والعرب المتعرية، عرب عدنان وعرب قحطان، عرب سات وعرب سالت، عرب المشارق وعرب المغارب، عرب اليمين وعرب اليسار، عرب النفط وعرب الزفت، عرب الهند وعرب السند، عرب زايد وعرب عمرو، عرب

الكفاح وعرب النكاح، عرب السأم وعرب العم سام، عرب الجنة وعرب الجنان، عرب الهجرة وعرب الميلاد، عرب الشقاق وعرب الرفاق، عرب الدنيا وعرب الآخرة، عرب الفلس وعرب العدس، عرب السلاح وعرب الأقداح، عرب السلم وعرب الحرب، عرب المسبحة وعرب المذبحة، عرب المقاومة وعرب المساومة، عرب النهار وعرب الليل، عرب الجفاف وعرب الخراف، عرب الصديد وعرب النبيذ، عرب الجزيرة وعرب الجزائر، عرب البحر وعرب البحرين، عرب البعث وعرب العبث، عرب الجين وعرب الدين..

صديقي..
أنا الآن أجوب شوارع روما، وروما تموء مثل القطة عندما تغزوها الشهوة. وكالبقرة عندما تنتابها حالة (تايكوك) في عز الربيع، يقول صديقي جيم، وهو عربي على دراية بمقالب العرب والعجم أن القطة عندما تفزها الرغبة للجماع تموء بضراوة تستنفر كل حواسها كأنها تستغيث، تموء بعدوانية كأنها تصهل، تضطجع كامرأة على ظهرها أو ترفع ثقبها إلى أعلى كمدفع هاوون، وتموء من فرط الشبق، تموء إعلانا عن اغتلامها وشبقيتها، حتي يأتي، الذكر، القط، فتستكين، وتجمد، و تخمد فورتها، نعم روما تموء كقطة، أو تهيج كبقرة مهبلها واسع رطب كالغدير، ولها فرج عظيم، روما تزامن الشبق، وأنا أموت على مقصلة الحرمان، أصارع بوهن بالغ ظروفي ومحنتي، وروما تزدهر، تتراقص، تتبرج، تسمق، وأنا في وحدتي أموت وأموت وأموت....
فلو أنها نفس تموت سوية
ولكنها نفس تساقط أنفسا

7ـ بلاغ من وزارة

عثر على جثة الشاب امرئ القيس بن حجر الكندي، ونحيطكم علما بأن هذا الشخص هو أجرأ عربي في العصور الغابرة تناول قضية الجنس شعرا، وسبق بذلك اجتهادات الفقيه سيدي محمد النفزاوي رحمه الله. وقائل أملح بيت غزلي:
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
بسهمك في أعشار قلب مقتل
هذا وقد وجدت بجيبه وصية يقول بوجوب دفنه إلى جانب الأميرة الدفينة بجبل عسيب.. وكتابة هذا البيت على شاهد قبره.
أجارتا إنا غريبان ها هنا
وكل غريب للغريب قريب

سيداتي سادتي إن الدول تتقدم بفضل الشعر والغناء لا بفضل الاقتصاد والصناعة، لذا وعملا بهذه المقولة نود أن يبقى الشاعر امرؤ القيس بيننا حيا يرزق، وعليه نرجو من كافة ممن تغزل فيهن أو نظم فيهن شعرا الحضور بكامل زينتهن لسحب اعترافاتهن، ويكون هذا البلاغ بمثابة استدعاء لكل السيدات وشكرا والسلام...

8 ـ بلاغ عن بلاغ

تلبية لدعوتنا بإحياء تراث فقيد الشعر العربي الشاعر امرئ القيس، فقد حضر إلى مقر وزارتنا في الوقت والزمن المناسبين العديد من الأوانس والسيدات بأحسن ما لديهن من أزياء وعلى وجوههن ما جد في الأسواق من أصباغ ومراهم.. كذلك حضر لعين المكان المصورون ورجال الصحافة المسموعة والمرئية، وقد قمنا بجمع ما قاله فيهن من أشعار بحكم تشبيبه فيهن أو صداقته لهن، وسوف نصدر كل ذلك في ديوان شعري على أن تصدر بعده نسخات مزيدة ومنقحة..

9 ـ تعليق على بلاغ

بناء على ما أقيم حول شخصية امرئ القيس ابن الملك حجر الكندي من أساطير وروايات وحكايات، وبناء على التقارير المرفوعة إلينا من الجهات المختصة حول ماضيه المشبوه، وثقل دمه، وسماجته، وسوء معشره، وكرهه من طرف النساء، وأن زوجته (أم جندب) طلقته وعاشرت غيره لعدم فحولته وعدم انتعاض عضوه، وأن النساء كن يتعلقن به لماله وجاهه وحسبه فقط، وبعد مناقشة مستفيضة لحاصل المعطيات، أجمع الحاضرون على صحة تلك الادعاءات ومنافاة تلك التصرفات المريبة والشاذة لكل حدود المنطقي والمعقول، وعليه فقد تم الاتفاق على ما يلي ذكره:

أ ـ التأكيد على عدم المساومة في أي شبر من الوطن..

ب ـ التأكيد على عدم المساومة بشأن المواقف المتخاذلة والوصولية، وتسخير القلم في خدمة أحد غير الوطن والشعب..

ج ـ فضح مواقف امرئ القيس التي هي في حد ذاتها مواقف ذاتية صرفة، صرفها للتغزل بالنساء وشرب الخمرة واللهو والقصف..

أما الآن فإليكم النشرة الجوية المتوقعة لهذه السنة والسنين المقبلة يقرؤها عليكم عبد اللطيف اللعبي:

طقس جميل..

الإله الدولار.. الإله الفرنك..
وكل الآلهة الأخرى وأنصاف الآلهة..
من عصابة الأشرار الدولية للنقد..
والتجسس وقلب الثورات..
تهرع إلى السماء الجديدة..
المعبأة مواخير صحية.
طقس جميل..
اهتزازات الزلازل عادية..
إضرابات شرسة.. ثورات الفلاحين..
صدامات..
كل شيء هادئ..
طقس جميل..
ثلاثمائة يوم من الشمس**..

- هوامش:

*- قصيدة طقس جميل ـ للشاعر عبد اللطيف اللعبي ـ ترجمة رشيد بنحدو ـ مجلة الأقلام العراقية ..

*- R.J. REYNOLDS TOBACCO CO.WINSTON –SALEM

*يحكى عن شركة (رينولدز توباكو الأمريكية) أنها تدر أرباحا خيالية على الاقتصاد الأمريكي وأنها تفرض على دول العالم شراء حصتها من منتجاتها قسرا، وأن تدخين سيجارة واحدة هي مساهمة منا نحن أبناء هذا العالم المتخلف لتأدية ثمن رصاصة لإبادتنا وتقتيل أبنائنا ..ودعم للبنتاغون الأمريكي من أجل الإجهاز على سلامتنا..

وأن حضارة الامبريالية العالمية الإعلانية تتفنن في تسميمنا من خلال إعلانات السجائر إلى علكة (توندرمانت) مرورا بالمشروبات الغازية التي يجتهد البعض في فك معميات رموز أشدها فتكا(بيبسي ـ كولا): (من أجل دعم الشعب الصهيوني الإسرائيلي ضد منظمة الدول العربية)..

ـ إن أمريكا تمنحنا التبغ والحلوى والعلكة والكوكاكولا والأسلحة..

ـ فأما التبغ فلدينا منه أنواع جيدة ورخيصة..

ـ وأما الحلوى فلدينا الثمور..

ـ وأما الكوكولا فلدينا الشاي والحليب واللبن..

ـ وأما الأسلحة فالصلح خير ما دمنا نحن العرب أصبحنا حقل تجارب لهذا السلاح..

.....إلخ

.....إلخ

** نشرت بجريدة أنوال الثقافي

أمـــان يالالي

خلف الزجـاج خفافيـــش تراقبنـــي
وفي المرايـــا دمـــارٌ هائلٌ و دمُ
والجنّ قد أغلقوا الأبواب و انسحبوا
وحين ناديْتُهمْ من شرفتي ابتسموا
و كنتُ حاربتهـــمْ في الليل منفـــرداً
وفي النهار فما انهاروا و لا انهزموا
والآن أشـــرب كأسي غير مكـترث
سيان عنديَ إنْ ناموا و إنْ هجموا

عبد القادر وساط

- غريبة الحسين

أنتم ثلاثة ورابعكم حجارتكم ..
والأفق دخان في هذه اللحظات التي يكون فيها المدى ألقا، والشجاعة تفرق بيننا طيفا كالحفيف.. وحارات القدس العتيقة فارغة أو تكاد تتسربل بظلال المروءة والفتوة.. ومزارع الخليل الخضراء خضراء تفرخ أشجار الزيتون المبارك ودوالى العنب.. آه يا عنب الخليل.. وشوارع نابلس الفسيحة فصيحة وساعاتها الرابضة في شموخ لا يقهر بالشارع الرئيسي تتحرك ببطء.. ونجمة داوود بالواجهة المقابلة تطل كخفاش..
مدينة تتوسد ربوة..
وحارات تفترش ربوات..
وأشجار اللبلاب تتطاول على الحيطان في دلال.. تقضم جرذان الوهم طراوة نسغها الفتي..
وجنود الاحتلال، وجوههم قميئة شرسة كالذئاب.. خبيثة كريهة عدوانية مجدورة كما رسمناها في الكراسات والذاكرة..
كلما امتدت أياديهم إلى شيء تحول إلى حجر..
حجر في حجر..
آه منك أنت أيضا ميدوزا...
الحجارة أصدق أنباء من الكتب..
لو امتد بك العمر يا حبيب يا ابن أوس يا ابن الحارث لما كنت تقول غير هذا..

أعرف ذلك جيدا..
وأعرفك أيضا يا صديقي يا مضر يا ابن حمد يا ابن السعيد..
وأدري بأنك لا تعشق سوى الكتب يا ابن أمي..
لكن كل الكتب هراء..
والمعاني مطروحة على الطريق...
أليس كذلك يا أبا عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري..
وكل الكتاب كاذبون.. يقولون ما لا يفعلون، يحملون زكائب من الأسفار المفعمة بجثث محنطة، ولغات فقدت ذاكراتها كمرايا فقدت صفحاتها بريق اللمعان..
ماذا نفعل بكل هذا الركام من الأشعار العنترية، والشعارات المزيفة، والمشاعر الخادعة؟..
وما في رأس الجمل في رأس الجمال... على رأي المثل كما يقول إخواننا المصريون..
الكتب هم الرجال..
والأفكار هي البطولات..
والحروف هي الرصاص
والمطابع هي البنادق والهراوات والحجارة..
وأنتم رحتم تصنعون المجد مودعين بدمع العين ولهفة القلب..
تخطون عبر الفجاج تلك الملاحم التي لا نظير لها في البهاء ..
تتعرون وتجوعون وتتعذبون وتتشردون بأرض الله..
خلفكم شوق..
وأمامكم شوك..
الحجارة مطيتكم..
لا الحجر الكريم..
لا الحجر الأسود..
لا الحجر الصقيل..
لا المرجان..
لا الزبرجد..
لا الزمرد..
لا الياقوت..
لكنه الحجر الأسمر الذي بعتموه حيا يتحرك ويجندل..

- رصد الذيل

(ونعرفهم - أولئك الذين- يعشقون الكراسي الأمامية..
وجوههم صقيلة تطفر منها النعمة..
العطر فواح..
البطون منداحة بحجم المزابل..
والدماء دبقة كمياه المواسير..
خليط من أمراض مزمنة،
وأرصدة متورمة،
وأورام خبيثة مترصدة..
وكل شيء هادئ..
لا شيء يستحق الذكر..
هكذا هم قابعون يغالبون كبواتهم.. تستوطن مخيلتهم مفردات هجينة تنادم هواجسهم.. لكنهم هادئون كصباحات بحر استوائي..
ما أمقت هذا الهدوء..)

- بياتي

لقد علمتنا التجارب أنه حينما تكبو البلاد نسقط في مستنقع عابق بشرود الأوهام والدمار.. نرفع أعيننا ونلوي شفاهنا مخافة البلل.. نبحث في مؤخرات جماجمنا عن زوارق الفجيعة.. نتسلق حبال الطموح وسقالات البطولات التاريخية وأنماط الإنتاج العبثية وكيمياء الشبق أيضا وأيضا.. نخرج من قصيدة لقصيدة بالمارشات العسكرية.. عبر فلول اللغة المتشحة بسديم التجريد.. وهي تضرب خوازيقها على تخوم المآسي... تضرب الماضي على عجيزته حتى السقوط.. وتطبق بأيديها على عنق الحاضر بقوة.. والمستقبل مارد يطلع من هشيم المجهول.
هكذا أنتم.. أبطال كما وضعتكم أمهاتكم.. أكابر عن أكابر، تتبرعمون.. والسنوات تمر من بين أصابعكم مخلفة حريقا في دمكم.. وتمضي بطولاتكم كجدائل من حرير تترهل في سفر التاريخ كامرأة في متحف ينغل حولها نسل خصب تدركها اليقظة فتهب شادة إليها إزار الرغبة.. وترحل محملة بأهواء الإغراء.. ثم تأويها في الختام جزر المتاهات الموحشة لتنبش تحت غطاء الحقيقة بحثا عن لحظة عشق لتفرخ القصيدة، وتخرج من نسيج مفاتنها غجرية نرقص في عري براءتها..

- سيكاه

(الصهيوني القذر.. كلب ابن كلب.. يتذكر الملاحات القاتمة العطنة كالجيفة.. والأقبية المتشحة بالأسرار والخفايا../ الصهيوني - دين ربه.. إذا أفلس يتذكر أسمال أبيه الرثة../ وحيثما أبصر خراء عصفور يحسبه ريالا / اليهودي يعشق المال والذهب والخداع.. يحب الدسائس والمقالب والمراباة.. لست أدري أين صادفت هذا الكلام.. لكن أعتقد أنه جاء ذكره في كتابات الحسن الوزان وأدبيات كارل ماركس ومسرحيات وليم شكسبير.. وتواريخ الجزيرة العربية وروسيا القيصرية والحروب الكونية .. وسرائد أهلي.. وأسهب فيه إميل حبيبي وتوفيق زياد ومحمود درويش وسميح القاسم.. وجاء ذكره على لسان صحف زماننا والصحف الأولى..
اللباس لا يصنع الراهب
اللحية لا تصنع الفقيه
العمامة لا تصنع الإمام
الكيباه لا تصنع الحاخام
ما أحقر هذا الزمان..
كان العالم جميلا.. وأكثر بهاء قبل هذا..
لكن هنا والآن فيبدو أن الحسن الذي كان يفتقده قد أتى على هيأة شحاذ ينتعل جزمة من الديناميت..
أية مدنية هذه!!
فعلها الإنجليز أولاد (....).. من أين أتوا.. أي قدر أسود رمى بهم...
إني لست بالعراف ولست طبعا العارف ولا العريف، لكني أعرف بأن اللعبة سوف تنقلب يوما..
السفارديم إلى الأسفار..
والإشكنازيم إلى المشانق..
أينك يا صلاح الدين.. وعز الدين القسام.. ومحمود الهشمري.. أينكم يا أحمد عرابي... وأدهم الشرقاوي.. وعبد الكريم الخطابي.. وجمال عبد الناصر.....
لكن التاريخ لا يعيد نفسه.....)

- زيدان

أتذكرك يا صديقي، وأنت تحكي عن أبيك عن جدك عن أب جدك عن فيل ذلك الطاغية الذي كان يعيث في أراضي الفلاحين فسادا.. فتذمروا، وأرغوا،

وازبدوا، وثاروا، وجمعوا أمرهم على أن يشتكوا.. ولما قابلوا الحاكم بادروه متلعثمين..
- الفيل يا ملك الزمان..
- الفيل..!! ماذا أصابه؟!..
- لا شيء يا مولانا.. إنه بحاجة إلى فيلة تؤنس وحدته وتزيل كربته..
أين لك بمثل هذا السخاء – وهذه الأريحية يا بريجيت باردو!!
طز يا مدام.. هل هناك أكثر رفقا من هذا السخاء..
الضراط لا ينفع مع الموت..
لكنه يورث ذلك الموت البطيء الخشن كعذابات الفلاحين الفقراء العابقة بشذا القناعة والمذلة والبهدلة ورائحة العرق والأوساخ والروث وجدب السنين..
فليكن موتنا أبيض نقيا كثلج الشتاء..

- حجاز

(أيها السادة.. لا تكونوا مصرين على فتح أبواب المنافي في وجه هذه القلوب التي تود الاستئناس بنبيذ المودة.. فنحن لا نرغب في أن يقودنا عساكر فاشيون متمنطقون بعري عبارات نابية، نابتة على دمن الكراهية والحقد إلى أسن مزابل مخفورة بالخراب.. ففي سحيق أعماقنا تئن رغبات التواصل.. نهرب إليها حينما تحاصرنا مفاوز الفراغ السديمي مستعينين بصفاء الذكريات الحالمة التي ما برحت تسمق في ذهول مخيلاتنا كأبي الهول الصامد أمام الأعاصير.. نستشف فيها نقاء طفولة لم تورثنا خطاطة فسيفسائها.. فنحس بمرارة المرارة تدمي أغوار نفوسنا المعتمة..
هكذا هم..
يزدردون كراهيتهم وراء أبراجهم..
يلبسون البدلات،
ويركبون السيارات الفخمة،
ويتمنطقون بالحقد
ويعتمرون الكراهية والضغينة..
هؤلاء الإشتراكيون الذين يعبون الفودكا..
وأولئك المؤمنون الذين يطقطقون بالسبحة..
أف لأزمة الإنحطاط الذهبي ...)

- رمل الماية

وها أنتم..
تعشقون الليل والكتب والملاحم..
ثم..
لست أدري..
كيف..
أين
ولماذا..
أيها الأولاد المعمدون بالإخلاص تختفون كالفقاقيع..
هكذا..
بغتة..
وبصمت جسور نعجز عن إدراكه..
منكم من غيبتهم السنون..
ومنكم من غيبتهم السجون..
ومنكم من غيبت وجوههم المليحة رحى حروب أخوية.. عدوانية.. ضارية.. دموية.. شرسة.. عرقية.. غربية.. عربية.. أهلية.. طائفية.. شقية.. ثأرية.. استنزافية.. تجريبية.. باردة.. تخريبية.. عشوائية.. خالية.. خيالية.. عقيمة.. تهديمية.. جهنمية.. لامجدية ولا نفعية..
ومنكم من ينتظر...

أ- باب ما جاء في أقوال من غيبتهم السنون:
وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أي جانبيك تميل.
- با الطيب –

ب- باب ما جاء في أقوال من غيبتهم السجون..

(... إن طريق الحياة لا تكون عبر المنتزهات.. والمناظر الخلابة.. إن طريق النصر.. طريق الحرية والاستقلال.. طريق التخلص من الاحتكار والإمبريالية والرجعية والعملاء.. ليس طريقا سهلا ومعبدا... إنه طريق صعب وشاق.. طريق فيه ملايين الناس من عدة شعوب في عدة عصور.. لكن هناك الإنسان القوي والصابر والمناضل والمكافح الحقيقي المؤمن بمبادئ الطريق وأهدافها.. هذا الإنسان المعبأ تعبئة ثورية وطنية صادقة هو الذي يستطيع الصمود والسير

على هذه الطريق حتى النصر.. أما النوع الثاني فلا يستطيع النهوض حتى بنفسه...)
بيروت 1-2-1974..
نزار نواف منصور الهنداوي.

ج- باب ما جاء في أقوال من غيبتهم الحروب..

(..أكتب لك الآن من ساحة المعركة ومن أحد نقاطها الساخنة.. وعلى أصوات انفجارات وصفير القذائف الذاهبة الآيبة... أكتب لك ولا أنتظر جوابا لما أكتب.. في كل ما كتبت سابقا كنت أحاول أن أكون مفتعلا.. أما هنا والآن فلا مكان للافتعال سواء فيما نعيشه أو نكتبه.. كل شيء حقيقي ومجسم.. كل شيء له صوت سواء القنابل والرصاص وما نحلم به.. نعم فنحن نحلم بصوت عال.. وأحلامنا ضئيلة.. شاي ساخن طعام جيد ونوم مريح الخ.. في الحرب لا مجال لأي خصوصيات، لغة القلم والمثقفين التي اعتدناها تنسحب إلى آخر الصفوف فتفسح المجال للغة القنابل وهي لغة جدية.. يحضرني بيت من الشعر..
السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب.
وأتساءل هل حقا أن السيف أصدق أنباء من الكتب أم أنه الأقوى والأعتى.. أما أنا فأفضل الكتب طول عمري وأعتقد أن أنباءها تحوي مقدارا من الصحة...)
العراق - بغداد
مضر حمد السعيد

هكذا أنتم رائعون أيها الأحبة..
تزرعون العشق في دواخلنا ..
وتنيرون حلكة ليلنا الحزين..
إبتلعتم ذاك الصباح غصاتكم على عجل..
تذكرتم أحبابكم وانتشيتم..
شربتم قهوتكم على مضض..
لا كما أفعل حين يعتصرني كرسي على طاولة فوق رصيف مقهى كمحارب كسيح يرتع في ساحة الذكريات، أنفخ دخان السجائر خيوطا هلامية.. أدق كأسي بكأس غريمي.. وأشرب على شرف الحياة أنخابا معتقة بنحس المآسي..
وأرنو في القاع الصديدي..
لرجل يمضغ القار ويدحرج الشرق نحو ثقب امرأة..
لامرأة شهوانية تزين أصابعها بعقارب وتتقلد أفعى..

لأفاع عاطفية تستوطن جمجمة بطول قصيدة..
لقصائد محاصرة بنواح شعراء واهمين..
لشعراء يشتهون التجوال في إست ليل مدموغ بالإحباط..
لليال مظلمة تقطر مجرة نحو أفول سحيق..
لمجرات موشاة بندف نجوم اصطناعية..
لنجوم مطفأة تطل من أبراج في سحايا فلكي معتوه..
لأبراج تستأنس بأحلام رعاة ماجنين..
لأحلام رعاة مكتظة بصداقة ذئب..
لذئاب أسطورية ملجومة بالعفة..
لأساطير قاتمة مزنرة بالحريق..
لقتامة أطماع (U.S.A) المحشوة بالأنين..
لأنين الآشوريات دون نصفهن الثاني في فحمة ليلهن الجريح..
لجراح في قلوب أطفال بغداد وهم يحجلون في أسمالهم..
لأسمال جان دمو آخر راهب من سلالة صعاليك كركوك الحزينة..
لأحزان الصبايا البابليات المطرزة بالدموع..
لدموع السيدة السومرية المدثرة بولهها تتسقط أخبار المفقودين في راغبة خاتون
لغزة.. والقدس.. ودمشق.. وبيروت
لدير ياسين وكفر قاسم
لصبرا وشاتيلا..
لمراكش أين، وتونس أين..
للأعراب الأعاريب يقامرون بالأوطان من تطوان إلى بغدان
لسيدي عبد الرحمن المجذوب وإدمون عمران المليح..
لصاحب الزنج وقرمط وأرنستو تشي غيفارا..
للمهدي بن بركة وعمر بن جلون وأبي علي أياد ومحمود الهمشري..
لناصر وسرحان وخاطر والحكيم والوزير..
لنزار نواف منصور الهنداوي..
لمضر حمد السعيد..
لنضال حمد عبد الله...
وعبد الكريم العامري..
للدم ..
والروح..
والشهادة
والشهيد..
وأغفو... في انتظار ساعة صحو لا ريب فيها..

والأمل يورق فينا كالصهيل ما يزال..
وأنتم أطفال ثانيكم حجارتكم..
وأنتم أطفال وشباب ثالثكم حجارتكم..
وأنتم شيب وشباب وأطفال رابعكم حجارتكم..

* نشرت بجريدة الأنوار

مواقف ومخاطبات لا تلزم النفري

1 - موقف الحضرة والجذبة

أوقفني على سكة الحضرة، وقال يظل الإنسان في حيرة من أمر حقيقة وجوده، وحينما يدرك نصف حقيقته أو بعضها يفنى، ولا تستساغ الحياة إلا ببطلان أسبابها، والشقي من تمادى وأضاع وقته في معرفة كنهها، ففي أعقابها تشقى النفوس، ومن دونها تستريح..
وقال: اهرب من الحياة ولا تهرب إليها، فإنها تصون من لا يصونها، وتتمسح في من يعرض عنها، والقبر غايتها ومستقر ناسوتها، والعمر محدود، والرزق مضمون، والاحتراس واجب مما لا ينال، ولا يطال، ولا ينقال..
ثم قال: لا تفوض أمرك لكيمياء الصدفة، فما في الجب إلا الماء، وما في الجبّة إلا الهواء، وما في الجيب إلا الهباء، وما في الجراب إلا الخواء. ولكل داء دواء..
وقال: شد أمرك على درب الحق إلى ساعة بلوغ الحقيقة، وكشف الحجاب عن الحساب، وليكن كلامك مسلحا بالمعاني على مقدار التأويل ومنتهى الغايات، وتحقيق الاستحقاق، وليكن عزمك نبراس عزيمتك، يرفعك إلى سدة القبول والاصطفاء، ويسمو بك إلى مدارك الصفاء..
وقال: سر مستترا بستائر الإسرار، مستورا بسرابيل الستر، فالإسراء بدون سير لا سر له، والسريرة بدون سر لا سيرة لها، والسائر بدون استتار لا سير له، والمسير بدون سمير لا مسرّة له.

2 - موقف الوجد والحال

أوقفني على باب المواجيد، وقال: هذا مقام الوجد، وبلاغة البلاغة بلوغ المكان والزمان وأنت محمول على صهوة التجريد، والوجد مفرد لا يحتمل الجمع، وجمع لا له مفرد له، وإجماع لا شريك له في باحة المعاني والكلام، ومبتغاه ملامسة الغاية، وأصله غرائز الغواية، والعيون وسائطه التي تغني عن الإيضاح بالإفصاح، فأستهد بوميض عرفانه الوهاج، واستلذ بلذاذات الانكشاف،

واستدل بهاتف الوجدان، واستتر بفيء جود دوح البسط، واستظل بفيض مزنه ما استطعت، ولا تبيتن إلا وأنت في حل من كل إضمار واشتهاء ولو في المنام.

3- موقف التسوّق

أوقفني ترجمان الأسواق على بعد من رفوف السوبرماركت، وأنا بدون متاع، وقال أنت وما تشتهي، والكائن بقدر ما يملك، فكانت البضائع تتمطى وتناوشني وتناديني وتغمز لي بكيمياء البصيرة، وأرنو إليها بيقين التصبر، وأنال منها بطول التبصر ما يسد سغب حرماني، وما يكفيني مؤونة الافتتان بالبصر.

4- موقف الوادي والماء

أوقفني على دلتا الوادي، وقال لي: يوجد في الواد ما يوجد في الوادي، ثم قال عم نهرك، واكتم سرك، وامسح الماء بالماء، وإياك والبلل، واخش من الأنهار الهادئ، ولا تعبأ بالهادر، فإن من عاقته الكياسة والحنكة وقصر الذراع، استعاض عنها باللغو والقيل وطول اللسان.
ثم أوقفني على بسيط الماء، وقال: هذا موقف أفتيناه بإفتاء مليح، وأفضاله ليست تحد، ومنه وبه وفيه وله وعنه وعليه ما لا يعد ولا يحصى.
والماء مياه، ماء الوجه، وماء الحياة، وماء الصلب والغدد، وماء العيون.
فماء الوجه يكسب المهابة.
وماء الحياة يجلب الكآبة.
وماء الصلب والترائب يحدث الجنابة.
وماء العين يوقظ الصبابة.

5- موقف النطق والصمت

أوقفني في دوامة السديم، وقال لي: النطق والصمت ضفتان، كالصوت والصدى، والكلمة والمعنى، والضوء والعتمة، والقوس والرمح، والنهر والطمي، والشيء والظل، والليل والنهار، والإشراق والإظلام، فاحتم بدياميس النهارات، وتجل بانقشاع الحنادس.

وقال: الحياة كوائن أزلية، والفيوضات أحراجها، والحادثات فرسانها، والموسيقا لازوردها الأبدي.
فاكفر بكل نعمة متبوعة بلغط.
ولا تخن ذاكرة مجبولة من صلصالك.
ولا تخذل روحك بسراب خلب.
ولا تغير أحلامك بمجد غير جدير بوجودك.

6- موقف القلم و" الكيبورد "

أوقفني في رحبة الأقلام، وقال لي: القلم وشيعة العبارات، ونول العرفان، ومنسج الأفكار، وزوادة المعرفة، وزاد العارف، ومن بات ومعدته فارغة واستيقظ وهو شبعان مؤتدم بسر ولائم أسراره فتلك كفاية الكفاية.
وقال: أصل القلم الجنة، وصلبه رحيق اليقين، وحبره ريح رياحينها، وهو أسبق للوجود، وسره ثاو في حرف مكنون، ومن منتهى نقطته يكون طواف الكون كله، وبه خط الخالق الكون وشرع أبوابه ورسم تفاصيله، ثم كانت الهيولى وكان الماء وكان العرش وكان ما كان.
ثم قال: وهو زاد الأفكار، ولسانك اللاينطق، والمؤتمن على سور المعارف، وحافظ سيرة أهل الاعتراف من آفة العدم، وأمانات المجالس من الإفشاء، وسره مكتوم على سن لسانه في اللوح المحفوظ، والاحتماء بوارف ظلاله يحمي من وحشة العمه، فاجعله حاجب إرادتك، وترجمان جنانك، ونبع إلهامك، وضامن منطقك، ومغنيك عن نطقك واحتياجك، حيثما ضاق أفق العبارة، واللبيب اللبيب من صانه وسار في أثره على هدي سطور تخط، وأقلام تقط، وتجليات علوم تلتقط، وصحائف تبسط.

7- موقف الأبجدية

أوقفني من دوحة البيان تحت ظل ظليل، وقال: الحروف شجرة الوجود، والكلمات سمت التواجد، وهي ترابها، والمعاني سر الموجودات، وهي فسيلتها، والعبارات مشكاة الإنوجاد، وهي فروعها، والكشوفات براهين الجود وهي ثمارها.

وقال: قسم الحرف سره بين الكلمات، فالشجرة معلمة، وثمارها علوم معلومة بحسب عناصر الوجود وعدد المنازل، تنجلي لذوي العرفان، وتنطوي على نبراس النور، وتنجي من عماء العدم، وتبرئ النفس من شقاوة الضلال.
ثم أوقفني على إشارة الألف، وقال: الألف ألق الأبجدية، وأرخبيل الأنس، وأصل الأمشاج
وأوقفني على باب الباء، وقال: هنا بدر البداعة، وبوصلة البشرى، وبوتقة البشارة.
وأوقفني على جرم الجيم، وقال: في الجيم جزء الجواب، وجمر الجوى، وجزالة التجريد، وجرأة الجهر.
وأوقفني تحت دوحة الدال، وقال: الدال درع الدواجي، وديباج الدلالة، ودفق الدلال.
وأوقفني على هالة الهاء، وقال: الهاء هبة الهناء، وهدوء الهموم، وهلال الهداية.
وأوقفني على وتر الواو، وقال: هو الواو، وفاض الوقاية، ووميض الوفاء، ووكر الوداعة، ووحم الولادة.
وأوقفني على حرف الزاي، وقال: هو زمردة الزهد، وزينة الزهو، وزاد الزمان، وزيق الزنار.
وأوقفني على حافة الحاء، وقال: احتم بحرز الحياء يحفظك من حيرة الحدوس.
وأوقفني على طين الطاء، وقال: الطاء طاسين الطمأنينة، وطيلسان الطهارة، وطهر الطوية.
وأوقفني على يم الياء، وقال هي ينبوع اليواقيت، ويناعة الياسمين، ويم اليقين
وأوقفني على كفل الكاف، وقال فيه اكتمال الكمال، وكبرياء الكمنجات، وكناية الكينونة.
وأوقفني على لواء اللام، وقال هو لجين اللفظ، ولباقة الليونة، ولهيب اللوعة.
وأوقفني على مقام الميم، وقال هي ماعون المحو، ومربد البهجة، ومنتهى الملاحة.
وأوقفني على نول النون، وقال هو نبراس النفوس، ونشوة النهاية، ونقاء النوايا.
وأوقفني على سن السين، وقال بسناء سلافته تستكين السجايا، وتسترخي السرائر، وتستدفئ السلالات.
وأوقفني على علو العين، وقال هي عسلوج العناية، وعبق العفاف، وعلامة العشق.
وأوقفني على فص الفاء، وقال هو فيض الفيوضات، وفيضان الفضيلة، وفخر الفطنة.
وأوقفني على صرح الصاد وقال هو صهوة الصفاء، وصهد الإصطلام، وصهيل الصبوات.

وأوقفني على قوس القاف وقال هو نقس القرطاس، وقرار القناعة، وقناع القهر.
وأوقفني على ربوة الراء، وقال بروائها روعة الرشاقة، ورغبة الرغاب.
وأوقفني على شفا الشين، وقال هو شفاء الشدائد، وشدو الشطحات، وشهقة الشهوة
وأوقفني على تلة التاء، وقال بتمامها يكون تمام التواشيح، وتيجان التيه.
وأوقفني على خد الخاء، وقال هو خمر الخلود، وخمار الخواطر.
وأوقفني على ذروة الذال، وقال هنا ذهاب الذهول، وذود الذمام.
وأوقفني على ضوء الضاد، وقال هو ضياء الضراعة، وضمان الضرع، وضوع الضمائر.
وأوقفني في ظل الظاء، وقال هو ظلام الظهور، وظمأ الظفر، وظل الظهيرة.
وأوقفني على غرة الغين، وقال هو غشيان الغواية، وغدر الغياب، وغموض الاغتراب.

8- موقف الرؤيا

يا أيها النفري
بالأمس حلمت بك
قد تكون أنت
وقد يكون ظلك
وربما بعض من طيفك
لم أتبين ملامحك
وحصيلتك من سفر " النطق والصمت "
ولا رؤية ما في جبتك من أحلام مؤجلة
كنت تقعي لترتوي على ريق القناعة ماء
وتهب مسرعا كالملتاع نحو عراء العراء
جناحاك الريح
مراياك سراب المفازات
خمرتك سلافة المشائين
وزادك حميا اليقين
وعلى منكبيك العاريين عبء العزلات
أنت المجبول من أمشاج المنافي
الآتي على صهوة الغيم
لتنتبذ مكانا قصيا في الفيافي
ترمم شروخ الذات

تداري أوجاعك بأوهام القطيعة
وتصغي لكركرة العتمات
وهمس القبرات للطبيعة
وتهلوس بكلام مبين
عن هواجس طاعنة في الضيم
وصداقات ممعنة في الخديعة

9- موقف الشيخ محمد ابن عبد الجبار

أوقفته في موقف المواقف، وقلت له: ارجع يا أيها النفري يا محمد يا ابن عبد الجبار، وصن سيرتك الأولى، واحفظ وصاياك.
بيني وبينك علم إذا ناله جاهل تكبر، وإذا ناله عالم تجبر، وصحائف لا تتسع لمخاطباتك، وركح لا يسع شطحك، وصنوج كاتمة للصوت، ومطهرات غير قادرة على تنظيف خرقتك، وهواء محشو بنكهة الزرنيخ والأورانيوم المخصب، والديناميت والنفطلين.
عد يا أيها النفري، فقد غاضت بحور الفراهيدي، وغادر الشعراء، وغاب الشرفاء، وقتل الأنبياء، ومات الكبرياء، وهلك المؤرخون، وانعدم الضمير، وبهدلتنا الفواجع، وأضحى المدى مشاعا لغبار المدائح والوشاية، وتلصص المرتزقة والمخبرين..
عد يا أيها النفري، حتى نعتق العامرية من غدر العلوج بآيات بينات من الشعر الرجيم، ونطهر بغداد من هدير الاباتشي، ورجس الشياطين وبلاغة الخطباء المخصيين.

10- موقف الحيرة

فأوقفني في الحيرة وقال:
ودين الرب لم أجد أي جواب.
ماذا فعلنا كي نستأهل هذا العذاب.
أمن الأحياء حقا نحن أم من الميتين.
ماذا اقترفنا كي نشرق بغصة غربتين.
ما ذنبنا يا أله كي نعذب في حياتنا مرتين.

جئت لأزف إليكم بشرى موتي

"حتى على الموت لا أخلو من الحسد "

الوأواء الدمشقي

الكثيرون يستعجلون مماتي..
حتى وأنا مسجى على الحصير، الحصير البارد للموت الكئيب، لم يكفوا عن الشماتة بي، وانتظار الشهقة الأخيرة تخرج كسيرة من جوفي...
كلهم...
أولادي ليرثوا الصئبان والبق والقمل..
معارفي ليتقوا عفة لساني...
الحكومة كي أكف عن وقاحة مهاجمتها والمطالبة بنصيبي من ثروات البلد...
وآخرون أيضا لأسباب لا أستطيع تخمينها..
وملك الموت الذي لم يكن أقل رأفة منهم، ولا أرق قلبا، شويخ من الغابرين، أتذكره جيدا حين جاء لزيارتي غير ما مرة بأزياء تنكرية، كان يمارس لعبته الوضيعة، نتعارك وننهي معاركنا بالشتائم والحجارة والوعيد، ونفترق من دون دماء، ونتواعد على لقاء جديد، يمنيني بجنان مغبشة وخمور رديئة وحور معمشة، ويساومني ويفاصل وينازل، ومرات أتى على هيأة امرأة أنيقة في كامل عدتها، صبية هيفاء فاتنة متبرجة مشرعة كنوزها، راودتني بكلماتها الموغلة في العهر والهشاشة والرقة واللين، وأمعنت في افتتاني بغنجها الماكر ورقتها الفاجرة وغمزاتها الساحرة وحركاتها الداعرة، وعجيزتها الموزونة على هيأة قصيدة غزل، فأصد عنها وأكسر كبرها، وأقول يا حمقاء غري غيري.. هذه المرة جاء إلى عقر داري محمر العينين، ونفسه تنطوي على شر دفين، لم يخيرني بين فرضيتي موت الرحمة واختيار ميتتي بنفسي، أزال الغطاء من فوقي بقوة، كنت عاريا إلا من نصفي جورب ومئزر مثقوب من الخلف وإحدى بيضاتي تطل، بدأ يضغط على متانتي بعنف، ويعصر مصاريني حتى أضرط وأتغوط، ويجر لساني بقوة سفاح محترف، ويطبق بقبضتي يديه الخشنتين على رقبتي بشكيمة وصبر مجرم، ويطلق كلابه المسعورة تلغ في أسن دمي، موت عدو لا يمت للحياة ببصلة، يحاول في عجلة من أمره طرد الروح من جوفي، وإنهاء الأمر بسرعة، عين علي، وعينه الأخرى على طابور من المنتظرين، يصر على شفتيه بأسنانه المدببة، وسحنته المكسوة بدثار يأس مكين، والعرق يشرشر من جبينه، لم أكن

أعتقد أنه بهذه القسوة والغلظة والفظاظة والحقد والكراهية والخسة والجبروت والشدة، هو الذي لم يفرح يوما لأفراح كائن، ولم يستأنس أبدا لصوت صريخ، ولا لانت أحشاؤه يوما لأنــة عجوز دردبيس، - ولم يحزن على فقد أخ ولا حزن أم على ولد - كانت حركاته من البذاءة والوحشية والصلابة والخسة بقدر تجعلَني أرتجِف حتى تصطك عظامي، أئن تحت ضرباته ورفساته وركلاته ولا أستسلم، وأظَن أَني هالك لا محالة. ولا أتوسل، فأغافله وأفوز بنصيبي من حموضة أنفاس نبيذ فاسد، وأنقب في مؤخرة جمجمتي، ألملم أشطان أحلام معتقة كي أمنح كل كلمة ما يسكرها من النقمة، أنا الذي عشت حياة تسر العدا، وكرهت طول عمري المخاتلات، والدسائس، والحكومات المصابة برهاب الجماهير، ومن يربطون قضية الخبز بالأزمات العالمية، والحرية بإفساد الأخلاق، ومن يمدحون الملوك بجزمات مثقوبة وبطون فارغة، والعناقيد بدون غضب والعوازل الطبية، والقوانين لأنها وضعت للمستضعفين فقط،، والعسس وهم يقضون فحمة ليلهم الطويل في حراسة نوم النساء في غياب بعولتهن العنينين، ونقاشات مدمني التدخين عن أمراض الرئة، وأزهار عباد الشمس تطاول النباتات كي تحني هامتها بمذلة لشموس سادرة، والأعراب منذ قالوا للبيت رب يحميه، وحسان بن ثابت الذي لم يركب خيلا ولم يمتشق سيفا، ولم يشارك في غزوة، ولم يصف كاعبا ذات خلخال، وأحببت روزا لوكسمبورغ لأنها تردد اقترب من الشر يا عمري وغني لو، والعنب وقدرة دماره الشامل على إبادة الكروب وجلاء القلوب وإغاثة المكروب .

وعلى مبعدة من ملاك الفناء البائس الخائب الحاد الحضور للخسارات، ومني أنا مفعوله البطيء العنيد والصلد، كان يتناهي إلي صليل سكاكين ووشيش طبيخ وصوت آلات وترية وقهقهات نساء وغناء ورقص، وشهيق حيوانات وطيور تتسافد، بينما السادة يتفرجون من سدتهم العالية على المخلوقات البائسة ويضحكون من المقالب التي ورطوهم فيها، ويأخذون من قوت الفقراء ليربوا أرصدة اللصوص والكسالى والمحتالين، ويؤلبون أنصاف الشعراء للإجهاز على نقاء اللغة

وفيما كنت أفكر في من ستؤنسني في وحدة القبر، تتمرغ في دمي، وتلهب بضرام شبقها المجنون برودة أحشائي، وفي قولة إيفان كارامازوف والعهدة على الروائي ثيودور دوستويفسكي: "إذا كان الله موجوداً، فكيف يقدر أن يتحمل عذاب الأطفال؟"*. كانت تتراءى لي بالكاد شياه تطارد ذئابا، وضحية تحاصر جلادها وهو يصيح دع عنك لومي.

يا ملك الموت، يا قاهر اللذات، يا قرين الخسارات الكبرى وساكن الخرائب والمقابر والفلوات، والممعن في العزلات الأعمق وحشة، خذ كل ثرواتي، خذ روحي يوم السبت أو الجمعة أو الخميس أو الأربعاء أو الثلاثاء أو الاثنين أو الأحد، لكن لا تخصيني، فأنت خير العارفين أنه سلاحنا الوحيد في فتوحاتنا العظيمة نحن العربان الصناديد..

يا أيها الغالب في مدائحي

" إنهم يريدون خلق جيل من الضباع "
ذ. محمد جسوس

عو
عوو
عووو
عوووو
عووووو

بدأت في العواء، وخرجت بدوري إلى ظاهر البلدة، في البدء كانت الأمور عادية جدا، عادية تماما، عادية كسرنمة، مثل ما يحدث في أحيان عديدة، كما في الأفلام مثلا أو في أحلام اليقظة، وتحولت الأحداث إلى ما يشبه الأمر الواقع، ثم بدأ التحول يبسط سلطانه على المدى تدريجيا، كما يحدث عادة خلال الأوبئة والأزمات والكوارث، حينما تبتدئ الأحداث في الانتشار والظواهر بالتفسخ والتحلل، وإذا بالكل يتحولون إلى ذئاب آدمية، ينزحون إلى ضاحية المدينة، يعوون ما شاء لهم، كما أجساد سقيمة تفرمها قاطرة الزمن العنيد بدون أدنى رحمة، يفلق يباس الخشب وتواطؤ الصمت المريب المنبعث من الذاكرة المخترمة بالنسيان، وأرواحهم المختمرة بالحرمان والإحباط، حتى أصبحوا يفكرون في مدى مراهنة البياض على الوقوف في وجه الخسارات، ومدى مقاومة المرايا لفتنة الانكسارات والغواية، في البداية، اقترن الأمر بمد إشاعة رحمتهم في البداية، بزرع الوشاية، بملء الجدران بصور السلالة، بإخفاء مواد ضرورية، باختفاء مواد أساسية، برسم جمجمة تتقاطع على وجهها عظمتان، بإقامة متاريس في الجهات الأربع مائة، بإعلاء سجون، بمحصارة الأهلة، بإخماد الشموس، وباختلاق أزمات أخلاقية مرة، وذات مظاهر سياسية واقتصادية مرات أخرى، وبظهور غرباء، مافتئوا أن يجتاح دخولهم هواءنا كأضغاث أحلام، فانتشروا فيه بجسارة، حتى اكتمل تواجدهم فينا، وأكملوا دبيبهم في تيهنا، يتفرقون في كل الأمكنة، يمدون آذانهم وعيونهم ذات اليمين وذات الشمال، طولا وعرضا وفي كل الاتجاهات والنواصي، يراقبون الحركات، ويتصيدون التحركات، وينقلونها في إضبارات صغيرة بحجم راحة اليد، يسجلون كل شيء في نفس الوقت تماما، الرشفات والهمسات تقريبا، الالتفاتات والابتسامات والتقطيبات والرعشات تقريبا

تقريبا، يحصون فقرنا، يحصدون مرارتنا، يحرسون جوعنا، يحرصون على أحزاننا الموجعة، يسممون طحين الحنطة، يطعموننا مرق الأرق وشواء الغيب، ويستمنون على الجارات في أفرشة مخيلاتهم، يستسلمون لدفء الأخيلة وحرارة الدفء المنبعثة من ربلاتهن اللحيمة، يستعينون بسيمياء التورية والمجاز والتأويل على سنين الحرمان، يملكون القدرة على ارتداء ألف وجه في نفس الوقت تقريبا تقريبا، وبقادرين على سماع همس الندى بصبر لحوح، وملاحقة قهقهات الصبية، يخزرون لكل شيء، يجلدوننا بالنظرة، يجادلوننا ويقارعوننا بالحجة، ويدافعون عن خيباتهم كقديسين، ويقسمون بمواقعة أمهاتهم ودين ربهم، وبحق آصرة الحليب المجفف، ليوهمونا بصدق النية كي يوقعوننا في سوء مغبتها، يجيدون بلاغة الجلاد، وبراءة الضحية، يؤدون التحية، ويبتسمون في الوجه حتى بدون سبب، ابتسامة باهتة شاحبة، شحوب باهت يشف عن عروق زرقاء تحت جلود كالحة، ويمضون إلى حيث المجهول، حيث لا أحد يعلم، حيث يقدمون لأسيادهم أكاذيب منمقة ، حيث تستقبلهم نساؤهم بعواطف مزورة ، فيما نقضم وقتنا، نحصي خيباتنا التي تمضي بنا إلى حيث لا ندري، حيث اللاحيث، نفرط سنوات العمر.. ونعيد ترتيب ارتباكات الأيام بثمالة النبيذ الحريف وأغنية "الشالييني"، نرهنه لكنف الأحراش، لليل مقصوص الأخيلة يجرش رؤاه على رحى المستحيل، لترنيمة من رذاذ الرمل، لرفة من سخاء البحار، لفيض الغابات المتكئة على حياد الظلال ولامبالاة الطقس، ولجبال تسندها هشاشة الفراغ، لخرائب يؤنسها نعيب البوم وضباح الثعالب، ننسج أجنحة ومواويل لأحلام الفقراء، نعتق الأفراح لأعوام مقبلة، نريق بولنا على رؤوس السلاطين، قطرة قطرة كتبول البعير، ندلق عليهم ما نضمر لهم من كراهية وحقد دفين، نقتفي عزلة اللقالق إلى حيث يقين العزلة، نلملم سمسم الضياء اليسّاقط من جدائل الشمس، نرمم تعتعة القناني بكل ما نملك من نفايات عمر مهيض، كنا نشك دوما في أنه ينتمي لفصيلتنا، نراهن دوما على سباق خاسر، عمن منا يسابق ظله، ويصل إلى حتفه الأول، عمن يؤدي رقصة " السيرتاكي" بحذاقة ألكسيس زوربا، عمن يعلق آماله على لوعة الصدفة، عن أوطان ما زالت تضبط ساعاتها على الوحدة ونص، أوطان تنبجس منها السجون والشرطة والرزايا كالخطايا، أوطان لا يأتيها الخير من بين أيديها ولا من خلفها ولا من أمامها، عما يكنزون لنا من أحقاد وموت وجوع ومن هراوات ومن مرارة، عن نقيع العدس والفوم والكرفس، عن الحروب الساخنة تمرغ قاعها في أسمالنا، عن أحادي أوكسيد الكربون والمازوت ينعش هواء الحدائق، والطرقات الملغومة بكمين الجسر وتيه السيول، عن حشيشة القنب وزهرة الخشخاش تربت على أجداث الدهاقين، عمن يبنون فرحهم على زقزقة اليمام ورفرفة الفراشات، ونجوم تتأرجح في الميزان، عن سر استئمان الحق على بريق الذهب الإبريز، عمن يعلقون عواطفهم على رضا حبيبات

ينزعن حبيبات دمهم من فتنة غبطتهن، ويسقطن سحناتهم من وهج اللهفة، عن الوصوليين يهتبلون المناسبة، عمن يعضون على وجعهم بالنواجذ وينضجون نوم أولادهم على ماء القدر، عمن يجلون الحزن العالق في القدور، عمن يستدرجون الجمل إلى قدر، عمن يستدرج الأقدار إلى الصراط...
الصراط الغير المستقيم،
صراط الذين
سراط الغريب
سراط الغربات
سراط حيثما وقاب وقوسين وأدنى، والذي، عندما، وبعدما، وكأنما، وربما، وكلما، وإما، وأما، وفيما، ولما، وما في الحسبان..
حيث لا سراط مستقيما يجس سنابك الصافنات..
لا نمارق ممدودة من حرير ودمقس للمماليك المذهولين الآبقين..
لا لوطن بدون حرية ونصف قبر..
لا للطغاة يستعذبون النهب فينا..
تقول أمي ما شأنك والسياسة يا ولدي..
يقول المناضل الحياة لا تؤخذ إلا عنوة..
يقول الفقيه كل بدعة ضلالة..
يقول المواطن مواطنون نحن لا رعايا..
يقول الشارع إذا الشعب يوما أراد الحياة..
يقول السياسي الحزب محطة لبلوغ الوزارة..
يقول الوالد كن رجلا ولا تتبع خطواتي..
يقول القديس ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان..
يقول الثعلب حينما تسمق الدالية كم أنت حامض أيها العنب..
تقول العرافة في حياتك يا ولدي..
يقول السياف الوقت كالسيف..
يقول الصائغ الوقت من ذهب..
يقول النقابي يا عمال العالم اِتحدوا..
يقول المحامي لا أحد يعذر بجهله للقانون..
يقول الفدائي المجد للكلاشنكوف..
يقول الشاعر يا أمة ضحكت..
يقول الراوي من أين تبتدئ الحكاية..
يقول المرابي المال يولد المال..
يقول الانتهازي من أين تؤكل الكتف..

ويقول صاحبي وهو يشرق بالحسرة نحن من نصنع أصنامنا، نؤلهها ونعبدها ونقع في حبها، وأتذكر بيجماليون، ومايكل أنجلو وهو يجدع أنف المسيح ملاطفا إياه بإزميله مخاطبا إياه: اِنطق يا موسى

وأقول للشهيد شهادته

و للاستشهاد مشاهده

وللشهداء عرسهم الدموي

ونتساءل عن من يستدرجون الأقدار إلى الصراط.. عن من يستدرجون الجمل إلى قدر، عن من يجلون الحزن العالق في القدور، عن من ينضجون نوم أولادهم على ماء القدر ويعضون على وجعهم بالنواجذ، عن الوصوليين يهتبلون المناسبة، عن من يعلقون عواطفهم على رضا حبيبات يسقطن سحناتهم من وهج اللهفة، ينتزعن حبيبات دمهم من فتنة غبطتهن، وعن سر استئمان الحق على بريق الذهب الإبريز، ونجوم تتأرجح في الميزان، عن من يبنون فرحهم على زقزقة اليمام ورفرفة الفراشات، عن حشيشة القنب وزهرة الخشخاش تربت على أجداث الدهاقين، والطرقات الملغومة بكمين الجسر وتيه السيول، عن المازوت وأحادي أوكسيد الكربون ينعش هواء الحدائق، عن الحروب الساخنة تمرغ قاعها في أسمالنا، عن نقيع الكرفس والفوم والعدس والبازلاء، عن ما يكنزون لنا من أحقاد وموت وجوع ومن هراوات ومرارة، وأوطان لا يأتيها الخير من بين أيديها ولا من خلفها ولا من أمامها، أوطان تنبجس منها الرزايا والشرطة والسجون كالخطايا ، أوطان ما تزال تضبط ساعاتها على الوحدة ولص، عمن يؤدون رقصة السيرتاكي بحذاقة ألكسيس زوربا، عمن يعلقون آمالهم على لوعة الصدف، ويصلون إلى حتفهم الأول، عمن يسابقون ظلهم، ويراهنون دوما على سباق خاسر، يرممون تعتعة القناني بكل ما يملكون من نفايات عمر مهيض، يلملمون سمسم الضياء اليسّاقط من جدائل الشمس، يقتفون عزلة اللقالق إلى حيث يقين العزلة، يدلقون عليهم ما يضمرون لهم من كراهية وحقد دفين، قطرة قطرة كتبول البعير، يريقون بولهم على رؤوس السلاطين، يعتقون الأفراح لأعوام مقبلة، ينسجون أجنحة ومواويل لأحلام الفقراء، وخرائب يؤنسها نعيب البوم، وجبال تسندها هشاشة الفراغ، لفيض الغابات المتكئة على حياد الظلال ولامبالاة الطقس، لترنيمة من رذاذ الرمل، لرفة من سخاء البحار، لليل مقصوص الأخيلة يجرش رؤاه على رحى المستحيل، يرهنونه لكنف الأحراش، ويعيون ترتيب ارتباكات الأيام بأغنية " الشاليني " وثمالة النبيذ الحريف، يفرطون سنين العمر، يقضمون وقتنا، ويحصون خيباتهم التي تمضي بهم إلى حيث لا يدرون، حيث لا أحد يعلم، حيث اللاحيث، فيما ظهور الغرباء يجتاح هواءنا، يتفرقون في كل الأمكنة، حتى انتشروا فيها بجسارة، واكتمل تواجدهم تلقائيا فينا، وأكملوا دبيبهم في تيهنا كأضغاث أحلام، يمدون آذانهم وعيونهم طولا وعرضا، وفي كل

الاتجاهات، ذات الشمال وذات اليمين، يتصيدون التحركات، ويراقبون الحركات، يلعنون المعنى، يسجلون كل شيء في نفس الوقت تماما، وينقلونها في إضبارات صغيرة بحجم راحة اليد، الرشفات والهمسات تقريبا، الرعشات والتقطيبات والابتسامات والالتفاتات تقريبا تقريبا، يسممون طحين الحنطة، يطعموننا شواء الغيب ومرق الأرق، يحرسون جوعنا، يحصون فقرنا، ويحرصون على أحزاننا الموجعة، يستمنون على الجارات في أفرشة أخيلتهم، يستسلمون لدفء الأخيلة وحرارة الدفء المنبعثة من ربلاتهن اللحيمة، يستعينون بسيمياء التأويل والمجاز والتورية على قهر سنين الحرمان، يملكون القدرة على ارتداء ألف وجه في نفس الوقت، وبقادرين على سماع همس الندى بصبر لحوح، وملاحقة قهقهات الصبية، يجلدوننا بالنظرة، يخزرون لكل شيء، ويقارعونك بالحجة، ويدافعون عن خيباتهم كقديسين، ويقسمون بحق آصرة الحليب المجفف، وبمواقعة أمهاتهم ليوهموننا بصدق النية كي يوقعوننا في سوء مغبتها، يجيدون بلاغة الجلاد، ويفتعلون براءة الضحية، يؤدون التحية ويبتسمون في الوجه حتى بدون سبب، ابتسامة باهتة شاحبة، شحوب باهت يشف عن عروق زرقاء تحت جلد كالح، ويمضون إلى حيث المجهول، حيث لا أحد يعلم، حيث اللاحيث، حيث يفلقنا يباس الخشب، وتواطؤ الصمت المريب المنبعث من الذاكرة المختمرة بالإحباط والحرمان ، وأرواحنا المختمرة بالنسيان، واقترن الأمر باختلاق أزمات اقتصادية وسياسية، وذات مظاهر أخلاقية مرات أخرى، بإخماد الشموس، بمحصارة الأهلة، بإعلاء سجون، بإقامة متاريس في الجهات الأربع مائة، برسم جمجمة تتقاطع على وجهها عظمتان، بإخفاء مواد أساسية، باختفاء مواد ضرورية، بملء الجدران بصور السلالة، بمد إشاعات رحمتهم في البداية، حتى أصبحنا نفكر في مدى مراهنة البياض على الوقوف في وجه الكوارث والخسارات، ومدى مقاومة المرايا لفتنة الغواية، وإذا بالكل ينزحون إلى ضاحية المدينة، يتحولون إلى ذئاب آدمية، يعوون ما شاء لهم، كما أجساد تفرمها قاطرة الزمن العنيد بدون أدنى رحمة، وابتدأت الظواهر بالتحلل والتفسخ، ثم بدأ التحول رويدا رويدا، كما يحدث عادة خلال الأوبئة والأزمات والكوارث، وبدأ التحول يبسط سلطانه على المدى تدريجيا، وتحولت الأحداث إلى ما يشبه الأمر الواقع، كما في أحلام اليقظة أو في الأفلام مثلا، ومثل ما يحدث في أحيان عادية، عادية كسرنمة، عادية تماما، عادية جدا، كانت الأمور في البدء، خرجت بدوري إلى ظاهر البلدة، وبدأت في العواء،

عووووو

عوووو

عووو

عوو

عو

سهرة مع الثعابين

كانت إرادتي هي وحدها التي تتلقى الضربات
وتردها نظرات غاضبة وصمتًا. وظللت كذلك.
لم أرهب، لم أتراجع
شرق المتوسط - عبد الرحمن منيف

وصلت إلى البيت متأخرا، وقد رحل النهار، وغسق الليل، وأطلقت المصابيح السنة نورها تنفخ في العتمة فتميد، حين أدرت المفتاح في ثقب الباب، انفتح بسهولة، وجدتهم بانتظاري، وكأنما كنت انتظر مجيئهم، جاؤوا، ما من أحد شاهدهم، أو شعر بهم وهم يتسللون إلى البيت، بيتي، كنت قد قرأت في كتاب "منتخب الكلام في تفسير الأحلام" المنسوب خطأ لابن سيرين، و"تعطير الأنام في تفسير الأحلام" لعبد الغني النابلسي، وكتاب "الإشارات في علم العبارات" لابن شاهين أشياء عن تأويلات لرؤيا ثقب الباب، وقد بلغ إلى علمي أنه ورد عن النبي قوله: (إذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا عالما أو ناصحا)، لكن الحاصل أن الأمر ليس رؤيا ولا أضغاث أحلام بل واقعا مريرا تعجز الأحلام عن تصويره واحتوائه، حتى الطيور التي كانت تأتي للمبيت على حافة الكوة الصغيرة وتؤنس وحشتي بزقزقتها الوديعة العذبة الأليفة أخلفت وعدها الليلة، أصغي لرفيف أجنحتها الخفيفة والرشيقة وهي تجفل مذعورة، والبقال الشديد الفضول، والذي لا تفوته حركة مارق ولا رجفة جفن، ويعلمني بين الفينة والأخرى عن أوصاف محددة لأصدقاء يسألون عني في الغياب، لم يشاهدهم وهم يفتحون الباب ويدخلون، لم يحددوا موعدا قبليا، لكنهم حضروا بكل عدتهم وعتادهم، حينما نشرت مقالات حول المادية الجدلية والعلمانية والفكر العقلاني ورسالته في تحرير الوعي البشري، نقد الفكر الديني والتطرف وانعكاساته على السلم العالمي، البروليتاريا ودورها في تحرير السوق، الاستعمار الجديد وإمعانه في استغلال البلدان وتجويع الشعوب، هيمنة الامبريالية المتوحشة ويدها في استعباد الأمم، اليسار المتكلس، الكومبرادور والإقطاع والصراع الطبقي، إضرابات العمال، البورجوازية الجنينية، مرض الشيوعية الطفولي، العبودية الطوعية وأشياء أخرى في امتداح الأنظمة الفاشية، وقد كان عليهم الحضور قبل هذا حين كتمت، خطأ وتهورا وسوءا في التقدير، أنفاس صديقتي الحسناء بواسطة

جدائل شعرها الفاحم الناعم الطويل المسبسب، بعدما ساورتني شكوك حول تصرفاتها الغريبة والمريبة، وحملها تقاريري إلى البوليس السري بدل إيصالها إلى رفاقي في التنظيم السري، بالوقت الذي كانت تغافلني فيه وتحرق خطاباتي خوفا علي من الاعتقال، وتترجمها إلى رسائل غرام تتفنن في تدبيجها تحت أسماء مستعارة لعشيقات من وحي الخيال، الغزالة الهيفاء الرقراقة التي دفعت حياتها بفعل كذبة سوداء، تسقيني السلافة، تشعشعها بسلسبيل غنجها وحلاوة بسمتها ورقة حنانها الوارف، صديقتي الوديعة التي عجزت جدران غُرفتي الصغيرة عن تحمل أسرارنا الكتيمة المغرية، فهجمت عليها ذات عصرية، طوقتها بذراعي، وأنخت عليها بكلكلي، وأجهزت عليها بالقبلات الحارة أزرعها وأطبع أختامها على خديها وشفتيها ونحرها، وزنديها، وكتفيها وصدرها الخصب، فيما راحت تصرخ وتستغيث وتحاول الإفلات من قبضتي دون طائل.
خمسة كانوا، امرأة مسترجلة، لم يطرق أحد قط باب عزلتها المزمنة، ولا ناوش عنوستها المبكرة ابن أنثى، تعيد ترتيب حساباتها الخاسرة، مستعينة بالمساحيق الكثيفة لترسيم تضاريس فتنتها، وإضفاء إيحاء شهوي على هيئتها، جبهتها ناتئة، رقبتها مديدة، خداها غائران، صدرها ممسوح، بطنها ضامر، حقواها ناتئان، وفوق شاربها زغب خفيف، تتذوق لب عباد الشمس وتبصق قشوره على الأرضية العارية، وأربعة رجال متجهمي السحنات على عيونهم نظارات سوداء سميكة تختفي خلفها عيون شيطانية حاقدة حادة براقة ماكرة وتقطيبة أبدية..
كائنات بشرية ممن يسميهم والدي تهكما بأولاد الحرام، لانعدام الرحمة والشفقة في قلوبهم، وتنعتهم أمي بأصحاب الوقت، إمعانا منها في ترهيبنا، جالسين على ما اتفق.. الكرسي والمائدة والأريكة وجردل الماء وعلى الأرض، وتحت أرجلهم كل ما امتدت إليه أيديهم وأعينهم.. الجرائد، قطن الأفرشة، الملابس وأواني المطبخ، الآلات الموسيقية التي اقتني ولا أجيد العزف عليها، الأصص التي صبغتها ونقعت عطشها واعتنيت بها وبنباتاتها البرية.. صبار، شيح، عوسج، قراص، عبيتران، قندريس، حبق، هندباء... مزروعات من كل صنف لها هي أيضا أشكال وأسماء وصفات وألوان وشذا وعشاق، كتب النظريات الثورية العظيمة التي استبدلت أغلفتها الحقيقية بأغلفة كتب صفراء وصور المغنين المخنثين للتمويه، وأخرى لابن الراوندي والجعد بن درهم وابن رشد، صور لكارل ماركس، ورفيق دربه فريدريك انجلز، روزا ليكسمبورغ، فلاديمير إلييتش أوليانوف لينين، بيير جوزيف برودون، ميخائيل باكونين، بيتر كروبوتكين، ليون تروتسكي، ألكسندرا كولونتاي، إرنست ماندل، التشي، هوشي منه، الجنرال جياب، عبد الكريم الخطابي، المهدي بنبركة، عمر بن جلون، جمال عبد الناصر، المهاتما غاندي، باتريس لومومبا، نلسون مانديللا، الرفيق يوسف سلمان يوسف، وليم رايش، انطونيو غرامشي، جورج لوكاش، بابلو نيرودا، ناظم حكمت،

بنيامين مولويزي، علي فودة، فرانز فانون، حسين مروة، مهدي عامل، فرج فودة، عبد العزيز بلال، المهدي المنجرة، عبد الفتاح إسماعيل، عبد الخالق محجوب، وصورة أمي أيضا وكأنما يتمادون في إذلالها وامتهانها لأنها توجعت وأنجبت هذا البغل العاق والمسخوط الذي يؤمن بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية والاشتراكية العلمية، ويسب الحكومة لسبب أو دونه، ويحرض المواطنين على العصيان المدني، ويكتب وهو في قمة وعيه وصفائه الروحي مقالات في تمجيد فكر رجل ملتح سلخ ثلثي حياته في انجاز كتاب تافه من ثلاثة أجزاء حول رأس المال يحمل غلافه صورة مطرقة ومنجل، ويأبى أكل القوت الرديء وانتظار الموت البطيء.

على غلالة الضياء الهشة المنفلتة من مصباح الشارع الوحيد، أداروا بعض الأشرطة الغنائية في المسجلة، صدحت أغنية " يا نخلة واد الباي"، سايرت المرأة الخلاسية الإيقاع على صينية الشاي وتصفيق الحاضرين، فيما تفرقع بحركات داعرة فقاعات من علكة في فمها، لم يفهموا شيئا من حمولة الأغنية السياسية، وحدها المرأة فهمتني حين ضبطتني استرق النظر من باب الفضول المعرفي إلى فخذيها، غمزتني، شهقت، ورفعت تنورتها قليلا، وشرعت والشبق في عينيها، تتلذذ بتعذيبي وإثارتي وهي تفرجهما خلسة لتفرجني على مكامن سرها الخبيء خلف سدرة عانتها الكثيفة
خيرتهم بين إعداد كاس من الشاي، أو تقديم زجاجة من الروج الرديء كنت احتفظ بها لأيام البرد، لم يردوا إمعانا في ممارسة حربهم النفسية على نفسي، فيما توجه إلي أحدهم خمنت أنه الرئيس وآمر السرية بترسانة من الأسئلة الروتينية عن سني ومهنتي ومكان ازديادي، وأين أخبئ الكتب التي أقرأ وأسمم بها أفكار النشء، انتمائي السياسي، سفرياتي، موقفي من الأديان، أسماء رفاقي في التنظيم السري، والخلايا غير النائمة عن ناهبي المال العام والفساد الإداري، والموظفين المرتشين، والوزراء اللصوص، وحذلقة نواب الشعب، وفقهاء الظلام والنصب باسم الدين والإيمان والتقوى، وتخرصاتي حول توجه البلاد نحو الخراب السحيق الأكيد، خمنت أن في الأمر أمرا مبيتا يستهدف جر لساني، وتأجيج ضوضاء اللغو على شفتي لأتحدث بإسهال عن الانتهازية الكلبية للنخب السياسية، عن كتب أهربها تحت الآباط كما يهرب الأباطرة الحشيش الأخضر والغبار الأبيض والمواد المنتهية صلاحيتها، عن الشعراء يهزمون الجيوش ويجملون النكبات ويحررون البلاد بالسجع الركيك، عن شخصياتي الروائية التي اخترت لها عنوة حياة العذاب والبؤس والشقاء والتقشف وشظف العيش والفاقة والأمراض والإحباط والحقد وكراهية الأغنياء..
لم أنبس بشيء..

ولم يصلوا لشيء..
ما يضير الشاة أمام جبروت وقسوة جزارها..
حرك الثعبان الكبير رأسه أفقيا مستاء متبرما، معبرا عن عدم رضاه، متوعدا دين أمي باجتثاث الجنة من تحت قدميها، ربما لأنهم يعرفون عني أكثر مني، لكثرة عيونهم المبثوثة في كل زاوية وفي كل ناصية وفي كل مكان وفي كل درب، افتعل ضحكة صفراء، لم يستطع الإفراج عنها فتجشأ، أخرج من إحدى الزكائب رزمة من الأوراق الصفراء، وبدأ يقرأ منها نتفا عن تحركاتي بتفاصيلها وتواريخها وأوقاتها المضبوطة، أحداثا عادية مألوفة تافهة كنت أصلا قد نسيتها بدءا بأسماء المقاهي الشعبية المختلفة والحانات الرخيصة التي أرتادها، أكلاتي المفضلة، مذاق الشراب الحريف الذي أعشقه، أسماء أصدقائي، رسائلي، عادتي في قلب قميصي السفلي، الأغاني المحببة لدي، الكتب التي قرأت، أحلامي المقصوصة الأجنحة، بيوت الدعارة التي كنت أتردد عليها، خليلاتي اللاتي يأتين لزيارتي بين الفينة والأخرى لعرض خدماتهن، ثم أدار شريطا تسجيليا لوشاية كاذبة من أحد الرفاق المقربين الذين كنت أثق فيهم إلى حد بعيد، استغربت لحديثه، وغمستني الدهشة والصدمة والإحساس بالذنب في حمام من العرق البارد، وأحسست بمغص وعطش شديد ويباس في الحلق، وبالخوف والفزع يقرص قلبي من أذنيه، استيقظ في خاطري حنين قديم لسنين الطفولة القصية حينما كنت أتكتك - مستظلا بأجنحة آمالي العريضة، ومخفورا بوعول حدوسي - قصائد تطاول ذهب حقول الحنطة، وأرسم عصافير ونجوما وفراشات وأطاردها في برية الخيال، وكانت لي بين الأنام صبية حسناء زاعقة الزينة أتعلق بأهداب فتنتها وتفاصيل أنوثتها البضة، أغرقها في لازورد المجاز وأضفي عليها ما تيسر من شوقي وتوقي المعمد بحبر الكناية وكيمياء المجاز، وأسبغ عليها ما أتصيده من فيض اللغة الكريمة وسخاء البلاغة وصفاء الحقيقة.
على حدود فجر ثقيل يشبك مرفقه بذراع العتمة، وأنا أنتظر هباء صياح الديكة المنبعث من أكواخ الفلاحين البعيدة، وصبحا لن يتنفس على خير، انتهوا من سلقي بحدة ألسنتهم، وشرعوا في تثبيت المشنقة بسقف الفناء، ومن غبش الفراغ المشرع والسحيق تدلت العين الحولاء للأنشوطة التي ستلفظني بعد حين إلى السعير، خفيفة متأرجحة مرحة جذلى كأنها تتوعدني باعتصار ما لم يفلح فيه المحققون من اعترافات، وبالطيبة والرأفة والحنكة والمهارة الوظيفية ذاتها غرزوا إسفينا بين الترقوّة والثّندُوة ثم سحبوني إلى الأعلى، بقيت معلقا ككبش، ثم شرعوا في سلخ جلدي، وإطفاء سجائرهم في لحمي، ونشر أعضائي، كنت أشاهد كل ذلك بأم العين، فيستحلب لساني لرائحة شي اللحم تتسلل إلى خياشيمي، واستعذب صفير أمعائي الفارغة، وقد خذلني صوت الألم الفصيح، وغامت الدنيا أمام ناظري، وحينما انتهوا من عمليات الإفراغ والعصر والنشر، كأنهم يجهزون

حيوانا أسطوريا لعرضه في متحف لسلالات الخنازير والتماسيح والعفاريت والديناصورات البائدة، تركوني جثة هامدة وسط بركة دمائي المتخثرة التي حاولوا عبثا شفطها لدورة المياه عبر أنبوب مطاطي موصول بعروقي، مستكثرين في الميتة التي استحقها، ثم حملوا حقائبهم، وخرجوا، صفقوا الباب خلفهم، وانصرفوا تحت ستر الليل الكحلي، دون أن يلحظهم أو يشعر بهم احد، بخمستهم، المرأة الخلاسية التي مرغتني في أسن عطرها الماجن، وأصحاب الوقت الأربعة ألمتجهمي السحنات، ذوو النظارات السوداء السميكة التي تخفي خلفها نظرات شيطانية حاقدة حادة براقة ماكرة وتقطيبة أبدية....

وليمة سقراط الأخيرة

" وجاء يتهمني أمام المدينة وكأنها الأم، ذلك أنه يقول إنني مخترع آلهة"
سقراط

إلى حدود اللحيظات التي لفظ فيها أنفاسه الأخيرة، ظل المعلم سقراط محافظا على صفائه ورباطة جأشه وسخريته اللاذعة والعهدة على الرسام جاك-لوي دافيد، الذي خلده في إحدى أشهر لوحاته الفنية، مادا يمينه عن طيب خاطر وبثبات وعزم مكين إلى قدح الشوكران.. فيما كانت يسراه معلقة في الهواء وقد شرد به الخيال إلى أقصى حدود اليقين، وهو يشرح إحدى نظرياته الفلسفية التي ألبت عليه الإكليروس، منتهرا طلابه الذين أخفوا سحناتهم في أطراف قمصانهم مستغرقين في نوبات بكاء مرير..
أفلاطون الخلاسي الذي كتب على باب أكاديميته " من لم يكن مهندسا فلا يدخلن علينا"..
وأرسطو ابن نيكوماخوس الذي ابتدع فيما بعد فلسفته المشائية، وكتب الكتاب الفريد والممتع "سر الاسرار" المعروف بكتاب السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة..
وكريتون أقرب الطلاب إلى نفسه، والذي أمره بدفع ثمن ديك لـــ "إيسكولاب" إله الطب دون مفاصلة. حتى وهو يعالج السكرات الأخيرة من الموت قبل أن تفيض روحه ويغمض عينيه في تلك الصبيحة من صباحات أثينا الربيعية..

كان في قمة الصفاء الروحي ورباطة الجأش عينها والسخرية اللاذعة ذاتها التي واجه بها القضاة الخمسمائة بقيادة الرجال الثلاثة ميليتوس وأنيتوس وبوليقراط الذين لم يثنهم كبر سن الرجل ووهن عظمه، ولا ليونة أنامل الداية فيناريت على طراوة أجسادهم ساحبة إياهم من أرحام أمهاتهم، الأم/ أمه التي ظل طوال حياته يبرهن من خلالها على نقاء فصيلته، وعلى عدم عقم الفلسفة. بالسخرية اللاذعة ورباطة الجأش والصفاء الروحي نفسه الذي لازمه حتى وهو يصب السائل الحريف في جوفه دفعة واحدة كأنه يعب خمرا، في ذلك الصباح المبكر من صباحات الربيع..

وحتى تلك اللحظات التي كانت خلالها طيور السنونو تراوغ ظلالها، واللقالق تسافر بعيدا لسماوات أخرى، والطيور تغادر أوكارها، لم يكف سقراط عن التأمل والدفاع عن الفضيلة والسخرية والحرية والتفكير في مآل الفلسفة، وفي حساء العدس المحبب كثيرا إلى نفسه، شيء وحيد لم يستحمله المعلم وهو على أبواب الآخرة، لا مآل الفلسفة، أبدا، لأنه يعرف أي الرجال هم الذين لقنهم خلود المعرفة، ولا مستقبل أثينا لأن الديكتاتوريات تدول وتزول، بل عويل ونواح إكزانتيب المرأة الشديدة التي كانت دائما تدلق عليه طست الغسيل وتردد في وجهه الأفطس أنت وتخريفاتك!!!، وهي تذرو على رأسها التراب وتتمرغ في الوحل خارج أسوار السجن، والذي ظل يتناهى إلى مسامعه ويمزق نياط قلبه حتى اللحيظات التي أسلم فيها الروح في ذلك الصباح الباكر البعيد من صباحات فصل الربيع.

الحمـــــــرية

موقف البحر
أوقفني في البحر فرأيت المراكب تغرق والألواح تسلم، ثم غرقت الألواح، وقال لي لا يسلم من ركب.
وقال لي خاطر من ألقى نفسه ولم يركب.
وقال لي هلك من ركب وما خاطر.
وقال لي في المخاطرة جزء من النجاة، وجاء الموج ورفع ما تحته وساح على الساحل.
وقال لي ظاهر البحر ضوء لا يبلغ، وقعرة ظلمه لا تمكن، وبينهما حيتان لا تستأمن.
وقال لي لا تركب البحر فأحجبك بالآلة، ولا تلق نفسك فيه فأحجبك به.
وقال لي في البحر حدود أيها يقلك.
وقال لي إذا وهبت نفسك للبحر فغرقت فيه كنت كدابة من دوابه.
المواقف والمخاطبات
محمد بن عبد الجبار النفري

* إهداء خاص إلى الشريفة مريم بن بخثة

العبدي

ادركت العبدي اليقظة على مشارف الثلث الأخير من الليل، مد يده ليتلمس الحمرية فلم يضعها إلا على برودة الفراش.. تسرب الشك إلى نفسه وفار الدم في عروقه، لم يغضب العبدي كما غضب تلك اللحظة بالذات، وخرج يلتمسها، اشرع عينيه في العتمة يتصيد أثرها، ويستجلي أمرها في الأرض البراح مرتع الشياطين والعفاريت والجن، ويستغرب لخروجها في هذا الوقت المبكر، والجو شات، والباب مغلق كما احكمه قبل أن يأوي إلى فراشه، ظل يسامر النجوم الناكسة في قبة السماء الرصاصية، ويسائل الرياح الديسمبرية القارصة، ويرتجف لهزيم الرعد، في انتظار الإصباح البطيء، لكن جانبا من تفكيره ظل جانحا يفكر بمكر في الخطيئة والشرف والإهانة التي لا يمكن للعبدي أن يبتلعها بشربة ماء، ولا يتحمل أن يتحول إلى هزأة يتفكه الناس بحكايته حول صواني الشاي، وصمم العزم على أن يجرها إلى دار القاضي، أو يردها إلى أهلها من غير سوء، ارتدى جلابيبه التي يحرص دوما على أن يكون الفوقي نظيفا محددا مشغولا بالحرير الخفيف، وتفوح منه روائح المسك والجاوي المكاوي وشب اليمن، وهو الذي لم يفوت فرصة الاستحمام أسبوعيا في "حمام لويجانطي"*، والاعتناء بأناقة مظهره، حتى انه حافظ بعناية على نظافة بدلته العسكرية كما استلمها أول مرة كمجند في الحرب الكونية الأولى لصالح الجيش الفرنسي، فلم

تتلطخ بوحل ولم تتأثر بتحولات طقس إلى أن تخلى عن الخدمة، حيث يحكي والعهدة عليه أن هتلر او "هكلر " كما ينطقه وقف عليه ذات ليلة ليلاء يشيب لهولها الولدان وهو متمترس في الخندق، ليطلب منه بكياسة ولطف ولباقة لسان الانسحاب من حرب لا تعنيه

البحارة

في العراء، عراء بحر الظلمات الهائج، كان بعض الصيادين قد يئسوا من العودة إلى بر الأمان، حاصرت قاربهم الأمواج العالية التي ترمح كفرسان جامحة مدفوعة بزمهرير العاصفة النافرة، وغشتهم حلكة الفضاء المتماديةً في شد السماء بكثافة وسماكة سوادها، ومد أشطان شآبيبها الغاضبة حتى لا تنطبق على الأرض، فتسقط في سحيق اليم الهائل الموحش، لم يكن هناك من مفر، والمسالك ضيقة، ولا نجوم في الأعالي، سوى كركرات الإله بوسيدون المستوي على عرش مملكته الشاسعة المتقلبة المترامية الأطراف، ورفرفة أجنحة نوارس ناغبة تائهة تبحث عن ملاذ آمن، وصرير الخشب المفروم وهو يقاوم بيأس صفعات الموج وهدير العاصفة وصلابة الصخور، وبطون تنتظر الرجوع بالرغيف، وتطلعات المسهدات من الشرفات إلى كبد السماء، يراقبن مجيء الصباح، فيما البحارة المتعبون ينازلون المالح ببقايا أرواح خائرة، يتبادلون فقط الزفير والهمهمات والغمغمات المبهمة الواهنة والأدعية الخافتة، وقد نابت الآهات الحسيرة الكظيمة الأخيرة عن لغة الكلام، وسط تيه النظرات الفارغة، والحناجر المبحوحة والحسرة على مبارحة أفرشتهم الوثيرة الساخنة، والمجازفة بأعمارهم وسط هذا الفضاء الوعر الخطير المعزول والليل المدلهم بلا عتاد ولا سبق اختيار لهذه المهنة المضنية والشاقة، امتلأت نفوسهم بالخوف والرعب، وخارت قواهم من شدة التعب والجوع، والفجر ما يزال بعيد المنال، وقد داهمت قاربهم المياه، وضاع زاد الرحلة، وضاق الأمل، ولم يبق في متناولهم سوى التضرعات والحسرات والدموع والزفرات، أدعية تنفطر لها الأفئدة، وتشرع لها أبواب السماء، قبل أن يجدوا بأعجوبة أنفسهم وهم يلامسون بنصف قارب وأجساد منهكة وبطون فارغة وقلوب واجفة منكسرة حسيرة اليابسة

الحمرية

الحمرية حمراء القصة، القديسة التي تصفو لها الخواطر والأفئدة، لم يكتحل لحظها بطلعة صريخ، قلب رءوم لكل الأطفال، فتية ضحوكة بشوشة ودودة محبوبة مسكوبة في اعتدال قويم ، تحتفظ بسمات جمال وقوة ما تزال، موسوم

قدها بالامتلاء والنحافة من غير إفراط، والصدر مطرز بالرمان والحنان، العين كحلاء، والخد وردة، والقد نخلة، والفم شهدة، والجبهة قمر، والأسنان طاقم منظوم من الجواهر واليواقيت، والأهداب ناعسة مسبلة من وطء الطول والسواد والخفر والغنج، لم تتأخر قط عن لمة ومزار وجبر خاطر، على حدود الفجر، والصبح يتنفس وئيدا متثاقلا يمزق بسيفه البتار سجوف العتمة كاسيا المدى بغلائل الضياء الخفيفة، يتراءى طيف الحمرية، وهي تخطر بتثاقل في غبش العتمة يتقدمها نشر ند وياسمين ورغوات البخور المعطرة بجلجلة الخلاخيل والأساور والأقراط، نقرت الباب، بادرها العبدي وهو يعالج فورة غضبه برباطة جاش فاتر بان ترجع من حيث أتت. بادرته " امن علي وأخبرك بحقيقة الأمر"، "وعليك ستة وستون أمانا"، رد وقد استخفه الفضول للحكي وللكلام، قالت له: "ادخل يديك بين ثوبي وظهري ولسوف تعرف السر"، أدخل العبدي يده، فلم يضعها إلا على دم ساخن يبقبق من تقرحات وجروح غائرة، هناك في عرض البحر صيادون غمرت قاربهم المياه، يتضرعون، ويطلبون الإغاثة من الحمريات وأهل الكرامات ومستجابي الدعاء

(آمولات النوبة

نترجاوك

شفعي لينا عند مولاك

يفرج وحلتنا

يفاجي محنتنا

غير هذي والتوبة)

وكأنما رأتهم في منامتها بأم العين، وسمعت نداءهم، وهم قاب فرسخ أو أدنى من الآخرة، وقد وقف عليها الدور هذه الليلة، فلا يمكن ان تخلف وعدها، ولا أن تتخلف عن كشف ضيم مظلوم، ورد لهفة مستغيث، وتلبية رغبة محتاج، وتفريج كربة مهموم، وهي الحمرية المكشوف عنها الحجاب، فهبت لنجدتهم ومقاومة العاصفة وإسناد القارب الكسيح بمتانة ظهرها وصلابة عودها إلى بر الأمان.. رق قلب العبدي ودمعت عيناه وهو يسندها عليه بتؤدة، ويسندها برقة، ويسندها بحنو وعطف وإجلال ..

- من المحكيات الشفهية لقبيلة احمر

- بوسيدون: لإله البحر في الاسطورة الاغريقية، أو سيدي بوزيد في العديد من دول الحوض البحر الابيض المتوسط والاطلسي

- لويجانطي "لويس جونتي " الاسم القديم لليوسفية

حينما كان الحب ديني وإيماني

من يصيدْ صيدا فليكن كما صيدي
صيدي الغزالة من مراتع الأُسد

ابن غرلة

جربت جميع الصيغ الممكنة كي أقنع روحي بما لا يجعل مجالا للشك فيما إذا كان لكلمات الحب والمحبة والعشق والغرام والهيام صيغة للجمع، أسوة بسائر الأسماء والمفردات فلم أفلح، ربما لنبل الكلمة، وصدق طويتها، وصفاء نيتها، وعدم تورطها في الحربائية وإمعانها في التشظي والاختلاف، فيما أننا نجد هناك بالمقابل عدة أصناف وأنواع وألوان وصيغ للحب والعشق والهيام، وهلم تطريزا بمختلف توائم المترادفات والمسميات وصنوفها ومكابداتها ومحائنها المستعصية على التخمين والتصنيف، والتي انكوى بكيمياء لظاها الحريف العديد من العشاق عبر التاريخ الذي لا تخلو منعرجاته من صدمات وكدمات وانكسارات وتباريح، ومن تحبيرات مثالية، وحمق وجنون لا يعافى احتار في امره امهر النطاسيين والحكماء، وحرقة لا تكاد تنطفئ الا بطلوع الروح من البدن، قبل أن تبيد هذا الشغف شرائع العولمة بطوربيداتها المدمرة، وتفتح الباب أمام طبعة جديدة ومنقحة من الحب العابر للقارات، عشق بجلاجل كاللعنة، لا هو عذري ولا إباحي، ولا بشرقي ولا غربي. لهذا وربما لخطأ وسوء في تقدير الخواتم او لحسن الطالع أيضا لم نكن نعير هذه العاطفة النبيلة كثير اعتبار، فكانت حياتنا محطات عابرة لحب عابر، وفواصل لا تكاد تنتهي الا لتورط القلب في عشق جديد، وعشقت بدوري كثيرات، وهفا فؤادي لكل من حرضني على مفاتنها طرف البصر، سواء من كن يمعن في الصد، ويشهرن وسطى أصابعهن في وجهي، او من يفتر مبسمهن عن ضحكة ماكرة، واعتقدت انهن احببني، أو هكذا كنت أتوهم، ليستغلن سذاجتي كي أكتب لهن مواضيع الإنشاء، سذاجة عاطفية اكتسبتها من قراءاتي لقصص المنفلوطي وأحمد سعيد العريان ومحمد عطية الإبراشي، ورواية البؤساء من ترجمة دار العلم للملايين، وبخاصة رواية بول وفرجيني لبرنار دو سان بيير التي استنبتها طيب الذكر سليل البكائين مصطفى لطفي المنفلوطي وسقاها بالدموع ورعاها بالسهاد، وكنت أستغرق بدوري في بكاء مرير خلال كل قراءة لها لندرة الكتب والقصص في محيط ذلك الوقت

ولعل اول عشق هز كياني وعشقت بموجبه بعنف رواية باولو كويلهو المائزة "على ضفة نهر بييدرا جلست وبكيت"، كان لصبية بدوية، حينما كنت أتردد خلال كل عطلة صيف، وأنا ابن خمسة عشرة عثرة، لأرعى البقر مع فتيان وفتيات القرية، ونسبح في الغدران الموحلة، او نغوص عميقا في الطمي المعجون بالبول، عرايا إلا من ستر الرحمان، لم تكن البيكينيات والمنهدات قد خلقت بعد في ذلك الزمان، بل ولم تكن تلك الفيوض الكريمة بقدودها المقدودة تحرك سواكن شهواتنا الدفينة، ولا بقادرة على إحداث خدش فادح في شرف القبيلة المصان، لعدم تبرعم رمان وأزهار ورياحين وزنابق في الجسد، كانت صدورهن ملحوسة تماما، لم تجد عليهن الطبيعة بنصيبهن من فاكهة النساء اللذيذة بعد، هكذا كنا جديرين بطفولتنا، كصوفيين يخمد ذلك النوع من الحب الكتيم الصبوات في النفس بدل تأجيج أوارها، ويطفئ الرغبات في مهدها عوض إضرام اللهب والحرائق في هشيم الروح

كانت قصيدة غزلية، حواء رحمانية فيها مزيج من ملاحة وبداعة أعاريب الصحراء، ورقة ودلال وغنج العرب المتغربين، خرافة بقد نخلة ورقبة ظبي، وخدين من ورد، وساقين من عاج، وقدمي غزال تدوسان قلبي الرهيف، وتمشيان بي إلى حيث شطآن العشق والصبابة. هكذا ما أزال أتخيلها بتولا تتخايل في طيلسان الحسن والجمال، هفهافة توشك ان تذوب من فرط خفرها، يتضوع منها طيب القرنفل، ويفوح شذا الخزامى من غدائرها، ومن كفيها يشع سواد حناء، عينان كحيلتان من دون كحل، وفما مختوما، وشفتان زهرتان، وخدان شقائق نعمان بغمازتين، وشعر كحلي يؤطر سحنة ملائكية يشوب بياضها تورد وخفر حينما تديم النظر إليها، تكاد جاذبية الأرض أن تنكرك، لم نبح لبعضنا أبدا بهوانا، كنا فقط نرسم أقمارا وشموسا وطيورا وبراري ونحلم، نداول بيننا ألغازا وحكايات لا تدر الضحك والتعجب، ونحكي عن ملائكة وجنان وفراديس، ونكتفي من الغنيمة بالنظر، كانت النظرات تسري في دواخلنا كسريان الماء في الأرض اليباب، وكفيلة بري عطش الأوصال المحرومة، واستغوار مناطق قصية في أغوار النفس فتحركها بلطف، لطف عفيف لا تزأر بمفعوله الغواية في داوخلنا ولا تتحرك قيد رغبة..، هكذا كنا سادرين في جناتنا، وهكذا أصبحت راعيا من أجلها، إلا أن أقبل عصر ذلك اليوم شقيقها ليخبرها بان عمتها الغنية أتت من مدينة الرباط لتأخذها معها، أصرت على أن أصحبها إلى مشارف الدوار، وعند الوداع أبقينا أيدينا في بعضها لوقت يسير، لا استطيع تكهن كم دام، تبادلنا كلمات خجولة، وآهات كتيمة، واستلت يدها من بين يدي وانصرفت، فيما قبعت على حاشية احد المجاري واستغرقت في نوبة بكاء مريرة، لم تلحقني الإفاقة منه إلا والليل قد عسعس، والعتمة قد عامت على الخيام، واستشبحت الطرقات والحقول

الآن وعلى مسافة أربعين محطة من ذلك الزمان، ما يزال الحنين إلى تلك الأيام الخوالي لي بالمرصاد، يترصدني ويستأسد علي كلما حاصرتني الذكريات، ويزرع في حياتي قنابل موقوتة، ويبعث في دواخلي رعشة عنيفة لا هي بالدغدغة ولا هي بالهزة.. فأتذكر انه كان لي قلب أنا أيضا، وسكن العشق مفاصلي ولبث يتلبس كياني كالمارد لردح من الوقت غير يسير.....

أكبادنا عشب هذا الربيع

أجمل الأمهات التي انتظرت إبنها...
أجمل الأمهات التي انتظرتهُ,
وعادْ...
عادَ مستشهداً.
فبكتْ دمعتين ووردة
ولم تنزوِ في ثياب الحداد

محمود درويش

* إلى كافة أطفال الحرية في الوطن العربي ..

يجري الولد في البيت لاهيا.. مرحا فرحا منشرحا، يجري الولد ملوحا بشرائط ملونة صائحا الشعب يريد إسقاط النظام..
صاح الأب في الأم زاعقا أسكتي الصبي، فتوعدته بعصا المكنسة..
هرب الطفل إلى الخارج صائحا الشعب يريد إسقاط النظام..
تبعه أطفال الحي صائحين الشعب يريد إسقاط النظام..
تبعهم أطفال الحارة صائحين الشعب يريد إسقاط النظام..
تبعهم أطفال الشارع صائحين الشعب يريد إسقاط النظام..
تبعهم أطفال المدينة صائحين الشعب يريد إسقاط النظام..
في المساء عاد الأطفال ولم يرجع الولد..
لم يغمض للأم طرف، وهي تظلل حاجبيها بيديها وتسائل الطرقات، تنصت لخشخشة الهوام.. وترقب نجوما تغمز في الفراغ الرحب للمدى الكحلي..
عند الفجر وضعوا على عتبة الباب كيسا ينز دما..
ومضوا..
عاد مستشهدا..
وكأجمل الأمهات صاحت بصمت "يا وليــدي"..
ونزفت آهتين..
وذرفت دمعتين..
ولم....

فصوص الغواية والفتنة

(أكّدت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "الشرطة الدينية" في السعودية، أمس الأربعاء، على أنها ستجبر النساء على تغطية عيونهن، خصوصاً "المثيرة للفتنة".)
الرياض - يو بي اي

ولأنهن هن هن هن..
النساء القليلات العرض، يمضين النهارات والليالي في تكحيل المآقي، وتمطيط الرموش، وصبغ الجفون، ودبغ المباسم، وصقل الخدود، وتليين القدود.. يفنين جبال الكحل والحرقوص والحناء، ويؤججن الفتنة، ويوقدن ضرام العشق والصبابة في أقسى القلوب..

ولأنهم هم هم هم..
شيوخ الرعب.. ينظرون بيقين الوجع، وحرقة العطش لعين تغمز، وكفل ينصار، وقد يميس، وسرة ترتج، وثغر يفتر، ونهد يهتز..
فيخفق لهم قلب..
ويشط بهم خيال..
ويسيل منهم لعاب..
ويختلج فيهم عرق..
ويغيب عنهم وعي..
ويشحب عندهم لون..
ويضعف لديهم إيمان..
وينزل عليهم عذاب..
فقد أفتوا بسترهن من قبل ومن دبر.. ولفهن من فوق ومن تحت.. خشية فتنة..

ولأنها هي هي هي..
اللحاظ النجل.. هبة الخالق... "المثيرة للفتنة".. فقد أصدروا أوامر بتركها جافة مشققة، مشاعا للوحشة والذباب والغبار والعمش والرمد..

ولأنه هوهوهو..

النظر.. بوابة الروح.. يسبي العقل، ويحرك العواطف، ويحيي الروح وهي رميم، ويوقظ المشاعر، ويخلب العقول، ويخطف الألباب... فقد أفتوا بملاحقة الرائحة، وقطع دابر الحس، وقمع ألق البسمة، وشل حاسة اللمس، وإخماد جذوة النظرة..

ولأنها ها ها ها..
الرغبات.. تعوي في الأعماق كذئب البراري، فقد ظلت العيون الحور الجميلة الكحيلة المليحة الناعسة الفاتنة الساحرة المثيرة للفتنة رقراقة مشحونة بالغواية، مبلولة حارة متلهفة ضاجة بأنين.. تطلق سيفها البتار القاتل وتصيب بمهارة من خلف لثام... وتقول لعين الرقيب إليك عني ...

المدام ذات الكعب العالي

تق تق تق تق
وصلت المدام إلى المكتب في العاشرة إلا ربعا، محمولة على إيقاع رنة كعب حذائها العالي، بتؤدة أخرجت مرآتها، بتأن بدأت تزيل الشعيرات الناشزة في قوسي الحاجبين، وبأسى مكين أخذت تمعن النظر للتجاعيد الناتئة على رقبتها، الأخاديد الغائرة التي لم تفلح المساحيق في محو أثلامها.
طق طق طق
خرجت إلى المكتب المجاور عند زميلتها اليمين
- كت كت كت كت
حدثتها عن مشاكل الزوج والأبناء والخادمة، واسترسلت الدموع مدرارا
إهئ إهئ إهئ إهئ
عادت إلى مكتبها
تمرأت، سوت هيئتها، مسحت دموعها ومخاطها، كتبت كلمات على الآلة الكاتبة
تك تك تك تك
دخلت إلى مكتب إحدى صويحباتها الشمال
- كت كت كت كت
تجاذبتا حديثا حول أحداث الحلقة الماضية من المسلسل التلفزيوني الذي تبثه قناة روتانا، واسترسلتا في بكاء مرير
تق تق تق
رجعت إلى مكتبها
تق تق تق
ولجت مكتب الرئيس
- قه قه قه قه قه
ضربها على مؤخرتها
ضربته على صدره
- الله يعطيك المسخ
في الزوال إلا ربع، تأبطت حقيبتها اليدوية

همت بالخروج
احتج أحد المواطنين غاضبا
رن رن رن
حضرت سيارة الشرطة
طوت طوط طوط
حرر محضر بتهمة إهانة موظف.

الكوابيـــــــس

أطل القمر من أعلى شرفة في السماء السابعة..
فبهره بريق المياه المنسابة كالفضة..
وأطربه نقيق الضفادع..
وخيل إليه أن آلاف المدى مشرعة في وجهه..
وان جيشا جرارا بكامل عدده وعدته يود اكتساح معاقله..
فولى الأدبار واحكم إغلاق أبواب غرفته..
ساعتها توشحت السماء والجبال والسهول والبحار والحدائق والفجاج بملاءة سوداء..
وأضحى الظلام القاتم يسيطر بوقاحة على كل الجبهات...
فبكى الأطفال خوفا من الكوابيس التي كانت تحدق بهم..
واستنجدوا بالبدر الذي طلع وقتها خجولا وجلا محمر العينين من فرط الحياء.....

نشرت بالملحق الثقافي لجريدة العمل التونسبة

إعدام العاشق

في العام القادم تحمل كل المدن العربية قتلاها
وتبشر بالثورة.
وها أنذ ا أتقدم ذاك الحلم البري..
الساقط كالسيف على أعناق المحتضرين.
ألوح بالشعر..
لقد قام الشعر
وعمده العصر
وطهره من كبوات الشعراء المهزومين
(حميد سعيد.. من ديوان (قراءة ثامنة

حين قتله العبيد كانت هموم الشعب وأمراضه وفقره قد قتلته قبل ذلك مرارا.. وكانت سياط المعذب قد لونت جلده كالسجادة ، وكهرباء المحقق قد غزت جسده قبل أن تجد طريقها للدواوير والدروب المعتمة البعيدة وخلقت بأعضائه ارتعاشة جعلت فصل الصيف اشد الفصول برودة... بالليل حفر بأظافره قبرا.. وارى عليه الثرى، فطلع نخلة شقت سقف الغرفة طولا .. وانساب غديرا شق مبنى الزنزانة عرضا جرف في مجراه الهراوات والمخبرين والخونة والحثالة، وحدهم الأطفال والعصافير والحمام ظلوا يؤمون المكان ليغنوا الماء والخضرة والذكر الحسن..

---

* نشرت بالملحق الثقافي لجريدة العمل التونسية

تضحية

جرحت مجرحا لم يبق فيه
مكان للسيوف ولا للسهام
المتنبي

تخرج في الصباح بصدر بارز
وقوام ممشوق
ووجه متورد
وقلب سليم
متنقلة من حضن الى حضن
ومن صدر لصدر
ومن ذراع لذراع ..
في المساء تؤوب بوجه ذابل
وصدر متهدل
وقامة منحنية وقلب سقيم
منتقلة من لسان لعين
وعين لفم
وفم لأذن ..
إن الزمان لعنود لوام كنود..
لا احد يعترف بالتضحيات .

قناعة

دأب أبو علي الشرمقاني على التقوت بالنباتات البرية من على ضفاف دجلة الخير، لعدم توفر الأفضل من الزاد، فدسوا له خلسة تريدا وطحائن و إداما ..
لكن الحسن بن أبي الفضل الإمام أبو علي الشرمقاني أيقن (بحسب رواية ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، بأن عهد النبوءات والكرامات قد ولى، فامتنع عن تناول أي طعام لانهيار وهمه بالولاية، وتوفي بعد ذلك المقلب بزمن غير مديد .

شرف

لكثرة ما شغل شرف المرأة وكرامتها ومستقبلها ووضعها تفكير الفقهاء
فقد اجتمعوا
وحبروا
وخمنوا
واجتهدوا
وتمذهبوا
وتخاصموا
وتجادلوا
واختلفوا
واتفقوا
وتكتكوا
وبعد فر ومكر اجمعوا على أن عقلها في حرها..
وحتى لا تشتهي
ولا تتهيج
ولا ترغب
ولا تغري
ولا تغوي
ولا تود
ولا تريد
ولا تكون هلوكا..
وتدخل النار ..
فقد أفتوا بختانها .

الخَنْدَريس

" شربت الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويت "

أبو يزيد البسطامي

لليل سره "الباتع"
وهو يدسنا تحت ضلعه
ويسبل علينا أجنحة الأنس
ونحن ندب صعدا في مراقي الوجد
ونتقلب في منازل اللذة
ويد النديم تلقمني تفاح العشق
كلما صحت من غفوتها
سقتني أربعا في أربع
من رحيق يرمم معاطب الحشاشة
حتى أدركنا الصباح وأدركناه
وهفا علينا نسيمه بأنفاس ملاح
مزاجها خاء وميم وراء..

أعض على أناملي ثملا بالفجيعة

حسنا أيها العصر
لقد هزمتني
ولكنني لا أجد في كل هذا الشرق
مكانا مرتفعا
أنصب عليه راية استسلامي

محمد_الماغوط

ما من أحد صدق في مبتدأ الملام.
فلم يعد ثمة من شيء مستغربا في هذا البلد.
من سنين وهم يقفون في طوابير الخديعة، مسندين هاماتهم على مشانق أحلام لا تقاوم ولا تلين. يوشوشون بكلمات قليلة وخافتة تكفي بالكاد لتدفئة أمانيهم. ويبسمون حين تغزوهم سهوا مسراتهم العتيقة.
وعلى مبعدة صيحة يقف جنود مزنرين بالزراية، متحفزين مشمرين جذلين لدرس عظامهم الهشة.
وأقف أنا بإزاء عتبة البحر، مبللا بزرقته الفادحة.
متثائبا ، أنصت لهدير الأمواج وهي تتلولب تتشقلب تتقافز تغيب وترمح كأفراس جامحة مدفوعة بريح.
فيما العواصف تثير زوبعة على أخرى.
أمّا "اليقين فلا يقين"
وما من أحد يصدق في منتهى الكلام وسوء الختام...

الفهرس

- تقديم
- العقيد
- من هموم امرئ القيس الدائرية
- آمان يالالالي
- مواقف ومخاطبات لا تلزم النفري
- جئت لأزف إليكم بشرى موتي
- يا أيها الغالب في مدائحي
- سهرة مع الثعابين
- وليمة سقراط الأخيرة
- الحمـــــــرية
- حينما كان الحب ديني وإيماني
- أكبادنا عشب هذا الربيع
- فصوص الغواية والفتنة
- المدام ذات الكعب العالي
- الكوابيـــــس
- إعدام العاشق
- تضحية
- قناعة
- شرف
- الخندريس
- أعض على أناملي ثملا بالفجيعة